الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة

الماستـر

تخصص: (أدب جزائري)

الوشم الأنثوي في منطقة قالمة؛ الرمز والدلالة

– مقاربة أنثروبولوجية –

مقدمة من قبل:

الطالب (ة): رانية عبدة

تاريخ المناقشة: 24/ 06 /2025

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
د/ فوزية براهيمي	أستاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
د/ شوقي زقادة	أستاذ محاضر أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
أ/ ليلى زغدودي	أستاذ مساعد أ	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكروالتقدير

الحمد لله على النّعم الّتي أنعم بها علينا، نعمة الإسلام،
ونعمة العلم، والشّكر له على توفيقه.
ونشهد أنّ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه،
ونشهد أنّ سيّدنا محمد عبده ورسوله-صلى الله عليه
وسلم- وعلى آله وأصحابه
وبعد نتقدّم بجزيل الشّكر إلى من شرّفنا
بإشرافه على رسالتنا الدّكتور:"**شوقي زقادة**"، الذي لا
تفيه الحروف حقّه لصبره علينا، وتوجيهاته
العلميّة الّتي ساهمت بشكل كبير في إتمام هذا العمل
نسأل الله أن يسدّد خطاه ويرفع مقامه في الدّارين.

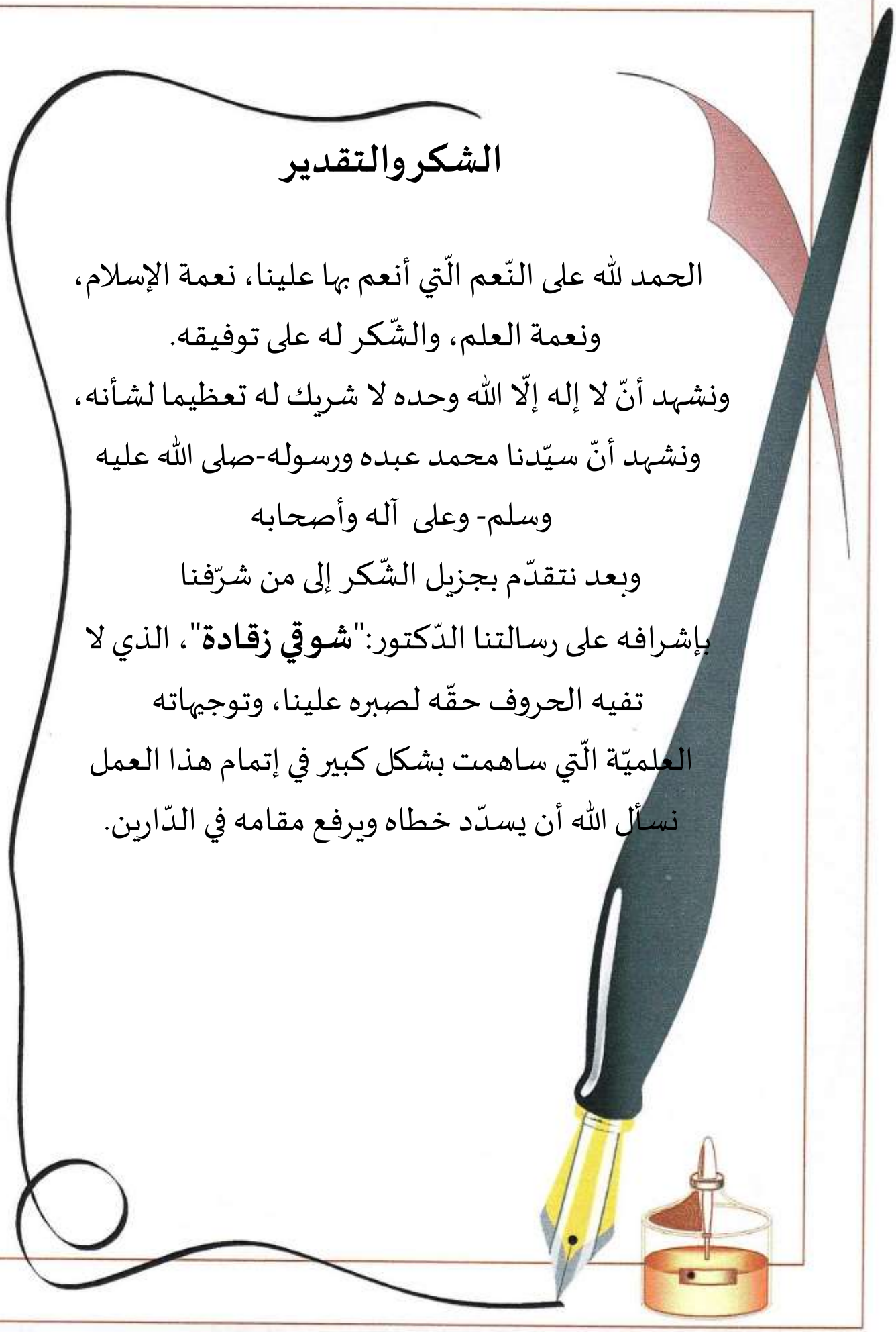

مقدّمة

مقدمة:

يُعَّد الجسد من أبرز المفاهيم التي اشتغلت عليها الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة لفهم العلاقة بين الثقافة والهوية؛ حيث تعاملت معه كمجال للتعبير الثقافي، فلم يعد ذلك الكيان البيولوجي المادي وحسب، وإنما نصاً مشفراً قابلاً للقراءة أو لوحة رمزية تتقاطع فيها الدلالات الثقافية والدينية والاجتماعية؛ إذ اعتمدت المجتمعات التقليدية هذه الفضاءات للتعبير عن ذاتها وتصوراتها وما يحيط بها، وأخذت تنقش عليها رموزها الثقافية الاجتماعية من عادات ومعتقدات وانتاجاتها الفكرية والدينية الطقوسية. ويعدّ الجسد الأنثوي على وجه التحديد حقلاً خصباً لهذه الدلالات والرموز ومحور تقاطع القيم الثقافية والاجتماعية، ويشار إليه على أنه مرآة المجتمع؛ لأنَّه يعكس الأنظمة والقيم الاجتماعية بقدر ما يخضع لها .

والوشم ظاهرة من التراث الشعبي الثقافي العريق ارتبطت بالوجود الإنساني، وواحدة من أبرز تجليات الفضاءات الجسدية التعبيرية التي اعتمدتها المجتمعات القديمة كوسيلة للتعبير عن الهوية والانتماءالقبلي والخلفيات الرمزية الثقافية والاجتماعية العقدية والدينية الروحية، وبذلك يتحول الجسد البشري ولا سيما الأنثوي إلى نص بصري يُقرأ في ضوء سياقاته التاريخية والاجتماعية والرمزية، وبالتالي فهو ليس فعلاً زخرفياً وحسب، ولا يقتصر على سمة التجميل والتزين، بل هو ممارسة ذات دلالات وأبعاد رمزية معقدة تعيد انتاج منظومات الهوية والانتماء والمقدس وتموضع الفرد داخل الجماعة.

وفي هذا السياق يبرز الوشم كجزء من جسد المرأة ومخيال الجماعة التقليدية في آن واحد، وكواحد من أقدم أشكال التعبير الجسدي وأكثرها تعقيداً من حيث الوظائف الرمزية والدلالات الثقافية. فيصبح الجسد الأنثوي والممارسات الطقوسية المرتبطة به نحو الوشم بمثابة أرشيف مرئي يعبر عن الذاكرة الجماعية والهوية الثقافية، وتُقرأ هذه العلامات الجسدية، كنوع من الكتابات الرمزية ذات رسائل دلالية حول من تكون المرأة وإلى أي جماعة تنتمي وما هي وظيفتها أو مكانتها. من هنا جاء بحثنا ليسلط الضوء على ممارسة الوشم الأنثوي في مدينة قالمة كواحدة من أقدم المدن

التاريخية العريقة في الشرق الجزائري، فجاء الموضوع بعنوان: "الوشم الأنثوي في منطقة قالمة الرمز والدلالة، مقاربة أنثروبولوجية".

وقد أثار موضوع هذا البحث إشكالية رئيسة، وتساؤلات فرعية، أما الرئيسة فهي: ماهي الدلالات الررمزية والثقافية والقيم الاجتماعية التي يحملها الوشم الأنثوي في منطقة قالمة؟

أما التساؤلات الفرعية فهي كالتالي :

- ما هو الوشم ومتى نشأ ؟
- ما هي الرموز الأكثر شيوعا في الوشم الأنثوي بمنطقة قالمة ؟
- ما هي العلاقة بين الوشم والمرأة والهوية الفردية والجماعية؟
- كيف تأثرت هذه الممارسة بالتحولات الاجتماعية والدينية في منطقة قالمة؟

وللإجابة على هذه الأشكاليات، تم تقسيم البحث إلى مدخل وفصلين، الأول نظري والثاني تطبيقي، ثم خاتمة. أما المدخل جاء في المفاهيم النقدية والمنهجية بعنوان "النقد الأنثروبولوجي: والمنهج السميائي": تطرقنا فيه إلى مفهوم كل من النقد والأنثروبولوجيا كل على حدا، ثم مفهوم النقد الأنثروبولوجي والنقاط الأساسية التي يبنى عليها، ثم مفهوم المنهج السيميائي.

أما الفصل الأول موسوم بالوشم (الماهية؛ والنشأة والتطور)، وفيه تناولنا مفهوم الوشم لغة واصطلاحاً، ثم نشأته وتطوره عند كل من الفراعنة وعرب الجاهلية والدول الأوروبية وأخيراً في إفريقيا،ثم الوشم حسب الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية والإسلامية) مع الإشارة إلى أغراضه ووسائله، أما الفصل الثاني والأخير جاء بعنوان " دلالات الوشم في منطقة قالمة" والذي أدرجنا فيه دلالات وأبعاد الوشم الأنثوي في منطقة قالمة (البعدالجمالي، العلاجي، التطهيري،السحري، الأنثروبولوجي، الهوياتي،الاجتماعي، النفسي).

وأخيراً الخاتمة وتتضمن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وقد اعتمدنا المقاربة الأنثروبولوجية لأنها الأنسب لدراسة وتحليل هذا الموضوع مع الاستعانة أحيانا بإجراءات وآليات السيميائية.

وتطلب البحث في هذا الموضوع الاستعانة بجملة من المراجع أهمها:

- سعد سرحت: الأنثروبولوجيا والسمياء.
- حسين عباسي: الوشم لدى القبائل الإفريقية الوسطى.
- دايفد لوبروتون: علامات الهوية (وشوم وثقوب وأمرات جسديةأخرى).

ويهدف هذا البحث إلى:

- تحديد مفهوم الوشم وتتبع مراحل نشأته في كل الحضارات.
- التعرف على وسائل وأغراض الوشم في المجتمعات القبلية القديمة.
- التعرف على موقف الإسلام وباقي الرسالات السماوية من الوشم .
- تحديد أبعاد الوشم ودلالاته في الثقافة الشعبية لمنطقة قالمة.

وقدكان البحث في هذا الموضوع تحدياً خضنا غماره مدفوعين بأسباب كثيرة منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي، فأما الأسباب الذاتية تمثلت في:

- الميل الشخصي لكل ما يتعلق بالثقافة الشعبية المحلية.
- الاهتمام بالمظاهر التراثية التي بدأت تختفي من الساحة الثقافية لمجتمعاتنا الجزائرية

وتكمن الأسباب الموضوعية في :

- الفضول العلمي لمعرفة الخلفية الثقافية والاجتماعية الدينية لظاهرة الوشم والرسائل المشفرة التي تحملها هذه الأشكال.
- معرفة قدرة الوشم على تحديد ثقافة الفرد وهويته، ومدى ارتباطه بهما.
- قلة الاشتغال الأكاديمي_حسب اطلاعنا_ على المواضيع المتعلقة بالوشم والظواهر التراثية الشعبية.

ولا ندعي فضل السبق في طرح هذا الموضوع بل تطرقت إليه بعض الأبحاث والدراسات السابقة من بينهما:

- مقال للكاتب سيد احمد "التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية"، يهدف إلى التعرف على أشكال الوشم المختلفة، والتوقف على بعض القضايا الهامة حول ظاهرة الوشم.

- مقال لقريصات الزهرة طالبة دكتراه"الوشم التقليدي على الجسد الأنثوي، قراءة أنثروبولوجية في الدلالات الرمزية"يهدف إلى دراسة ظاهرة الوشم على الجسد الأنثوي في المجتمع الجزائري المحلي على اعتبار أنَّه من الموروث الثقافي المادي للمنطقة والآيل للزوال.

- مقال للكاتب حسين عباسي" الوشم لدى قبائل إفريقيا الوسطى (الذات و الموضوع)" والذي يركز على فهم البعد الرمزي والاجتماعي للوشم في المجتمعات التقليدية الإفريقية، وإبراز كيف يتحول الجسد إلى صفحة يسجل عليها التاريخ الفردي والجماعي من خلال هذه الممارسة.

ورغم أهمية الموضوع وما يتميز به من ثراء وتشويق إلا أنَّه كان محفوفا ببعض الصعوبات التي كانت عائقاً لسير العملية البحثيةمن بينها:

- قلة المراجع المتعلقة بموضوع النقد الانثروبولوجي وكذا الوشم.

- صعوبة التواصل مع كبار السن أثناء عملية البحث الميداني عن الوشم، إذ يعد موضوع الوشم مسألة حساسة لدى البعض،مما جعل محاورتهم تتطلب الكثير من الحذر والصبر.

في الختام أخص وافر الشكر الجزيل للأستاذ المشرف"د.شوقي زقادة" على دعمه وتشجيعه المتواصل، وكل ما قدمه من توجيهات ونصائح قيمة ساهمت في يسر سير عملية البحث وإتمامه بنجاح، وما ساعدني على تدارك أخطائي، فكان بذلك نعم المشرف والموجه. ولكل من ساهم في هذا العمل المتواضع، أتوجه لهم جميعاً بأسمى عبارات الشكر والعرفان.

المدخل: في المفاهيم النقدية والمنهجية: (النقد الانثروبولوجي والمنهج السميائي).

تمهيد:

أولاً: النقد الأنثروبولوجي:

ثانيا: المنهج السيميائي:

تمهيد:

تشهد الساحة النقدية الحديثة و المعاصرة تداخلا كبيرا في المناهج العلمية و النقدية التي تسعى الى معرفة الظواهر الإبداعية وكشف الأنساق الثقافية في الخطابات الفنية التي تضم تحت عباءتها الجمالية والإبداعية مختلف الثقافات والأفكار والإيديولوجيات، وهذا ما يؤكده **كلود ليفي ستروس Claude levy strauss** حيث يقول : " من الثابت اليوم أنَّ تداخل عناصر المناهج وأدواتها المفهومية و المصطلحية وقوانينها في مجالات المعرفية المختلفة مسألة إيجابية مخصبة " [1]، وقد سعت جل هذه المناهج الى التركيز على دراسة الإنسان وسلوكاته وأنماط تفكيره، وكل ما ينتجه؛ فالأدب مثلاً يُعَدُ أحد هذه الخطابات الفنية والمنتوجات الإنسانية التي ركزت عليها هذه الدراسات النقدية بحثاً عن اجابات لأسئلة مختلفة، وتفسيرًا لبعض الظواهر الكونية وفهم الطبيعة البشرية، وأهم شيء تقصي سيرورة حياة الانسان ككائن بشري، وكفرد في المجتمع ؛ فلطالما كان الأدب مكتبة حياة الأمم والشعوب على اختلافها و تعددها، ولذا فهو وجهة كل النقاد والدارسين والباحثين.

تُعَّدُ الأنثروبولوجيا أحد أكثر العلوم الإنسانية التي اهتمت بالإنسان في جميع جوانبه ، فهي علم شامل يدرس الطبيعة الفيزيولوجية للإنسان وسلوكاته، وأنماط تفكيره، وما ينتج عنه من ظواهر اجتماعية وثقافية، وبالتالي اهتمت بكل الخطابات والنصوص الفنية مستخدمة مناهج تحليلية وصفية وتأويلية، كما تعدّ السيميائية من أهم المقاربات التي اهتمت بمختلف الخطابات لغوية كانت أو غير ذلك، متقصية علاماتها النصية، وقد حضيت باهتمام كل العلوم الإنسانية، لاهتمامها بالعلامات والرموز التي تكون بسيطة سطحيًا ولكنها مشحونة بدلالات لا حصر لها، وهوهي" علم يستمد أصوله و مبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي و الأنثروبولوجيا (و من هذه الحقول استمدت السيميائيات أغلب مفاهيمها وطرق تحليلها) كما أنَّ موضوعه غير محدد في مجال بعينه؛ فالسيميائيات تهتم بكل

[1] - عداد راضية: علاقة النقد الادبي بالانثروبولوجيا -قراءة في المفهوم _ومجال البحث، أعمال الملتقى الوطني الأول: النقد الادبي وعلاقته بالعلوم الإنسانية، جيجل، مارس 2010، ج1، ص 270.

مجالات الفعل الإنساني، إنَها آداة لقراءة كل مظاهر السلوك الانساني بدءًا من الانفعالات البسيطة ومرورًا بالطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى"[1].

إن الدارس لهذين المنهجين يجد خصائصا عديدة تربط بين علم الأنثروبولوجيا والسيميائيات أو علم السيمياء، فهما يركزان على الأنساق العلامية الثقافية والإجتماعية والسياسية وغيرها التي تحتويها النصوص الأدبية والخطابات الفنية، وتحليلها وتأويلها وفق السياق الخارجي الاجتماعي والثقافي للنص، واقتناص الأنسجة الرمزية الخفية في عمق هذه البنى والظواهر، وهذا ما استدع ربط ما هو اجتماعي بنائي بالدلالي الرمزي . "ولعل تداخل هذه العلوم على صعيدي المنهج والرؤية، إنَّما هو شيء من الإفرازات الفكرية لما بعد الحداثة وتوجهاتها "[2]، وتأتي أهمية المنهجين الأنثروبولوجي والسيميائي على ما هو ثقافي اجتماعي، وينهض على الممارسة التأويلية على النقد والمسائلة للمعطيات الثّقافية، ويضطلع بمهام الفحص والتحليل لكل ما يتلقاه ثقافياً. كما يشتركان أيضا في تطوير الطرق الخاصة بمعرفة العالم اليومي واكتشاف الأنشطة اليومية والدوافع والمعاني وأفعال الفرد داخل المجتمع.

وكون هذه الدراسة تقوم على قراءة الوشم كخطاب فني وظاهرة ثقافية واجتماعية، ارتأينا أنَّ نقدم مدخلا حول المفهوم العام للنقد الانثروبولوجي والسميائية لتحديد المصطلاحات المستخدمة .

أولاً: النقد الأنثروبولوجي:

يتكون هذا المصطلح من مفهومين أساسيين أولاً: النقد: الذي يعد علما يختص بدراسة الأدب ومجالاته؛ حيث ولد لصيقًا به حتى أصبح علمًا مستقلاً بذاته له أسسه و مبادئه العلمية، ثانيًا: الأنثروبولوجيا وهي علم إنساني شامل يهتم بدراسة الإنسان ومختلف سلوكاته وإنتاجاته وفق

[1] سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ط3 ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، سورية اللاذقية ،2012 ،ص:25.

[2] سعد سرحت: الانثروبولوجيا و السيمياء -مقاربات أنثروبولوجية تأويلية في ثلاثة نصوص ثقافية اجتماعية -، ط1، منشورات نون للطباعة و النشر و التوزيع .2017 ص: 11.

مناهج معينة، ولتحديد مفهوم النقد الأنثروبولوجي لا بد من التطرق لمفهومي النقد والأنثروبولجيا كل على حِدا.

1_مفهوم النقد : Criticism

النقد من المصطلحات التي يصعب تحديد تعريف واحد لها؛ حيث توجد الكثير من الدراسات التي حاولت وضع تعريف شامل له لأهميته في الدراسات الأدبية الحديثة والمعاصرة فالنقد:" في أدق معانيه هو فن دراسة النصوص و التمييز بين الأساليب المختلفة و هو روح كل دراسة أدبية إذ صح أنَّ الأدب هو كل المؤلفات التي تكتب لكافة المثقفين ." [1] هذا ما يعكس أهمية النقد كعملية فنية تقييمية لكل الأعمال الأدبية من خلال التحليل والتفسير واستخراج كل الأساليب الجمالية المعتمدة من الأديب.

وقد ورد أيضا في معجم المصطلحات العربية أنَّ :" النقد criticisme هو فن تقويم الأعمال الأدبية والفنية ، وتحليلها تحليل قائم على اساس علمي ، وهو الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصادرها وصحة نصها وانشائها وصفاتها وتاريخها ." [2] أي أنَّ النقد علم و فن في الآن ذاته يعمل على فحص الخطابات الأدبية وفق أسس منهجية وعلمية؛ أي ليست مجرد تقييم ذاتي أو انطباعي وإنَّما تعتمد على معايير علمية منهجية، كما يدرس هذه النصوص من ناحيتها الجمالية الإبداعية وفي سياقها التاريخي أو الثَّقافي الاجتماعي.

أما شوقي ضيف فيعرفه قائلاً :" النقد تحليل القطع الأدبية و تقدير ما لها من قيمة فنية ... فهو فن مشتق من غيره أو متوقف على غيره " [3]، فالنقد تربطه علاقة تكاملية بالأدب حيث يعدّ وسيلة فحص وتقييم موضوعي للأعمال الأدبية والفنية .

---

[1] - محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب _ منهج البحث في الادب واللغة _نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1996، ص: 14.

[2] - مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلاحات العربية، في اللغة والادب، مكتبة لبنان، بيروت ط2، 1984، ص 417.

[3] - شوقي ضيف: النقد، دار المعارف، القاهرة ، ط5، 1984 ، ص:9.

بالتالي فإنَّ النقد وفق المفاهيم السابقة يمزج بين عملية فنية علمية تهتم بالأدب كنص فني وداخل سياقه الاجتماعي أو الثَّقافي ..، ومنه نفهم أنَّ " النقد ليس عملية اعتباطية ، تنشأ نشأة ذاتية غامضة إنَّما هو وسيط بين المؤلف و الجمهور تربط بينهما لحمة النتاج الفكري الأصيل "[1]، فهو تجاوز حدود الأحكام الذوقية والتعليقات الذاتية للنصوص، والحكم بالجودة والرداءة التي قام عليها في العصور القديمة بل أصبح أكثر تعقيدا؛ فهو ممارسة ثقافية وعملية فنية ممنهجة لها أصولها وقواعدها، ويستعين بمختلف العلوم التجريبية والإنسانية.

2.مفهوم الانثروبولوجيا Anthropology:

يُعَّد الإنسان المادة الأساسية التي تشتغل عليها الأنثروبولوجيا حيث تقوم على "فهم كل ما يمكن أنْ يعرف عن طبيعة هذا المخلوق الغريب الذي يسير على قدمين ، و كذلك فهم سلوكه الذي يفوق طبيعته الجسمية غرابة "[2]، فالإنسان منذ الأزل شكّل غموضا كبيرا، ما دفع الانثروبولوجي الى محاولة تحليل وفك شفرات هذا الغموض، والأنثروبولوجيا من حيث اللفظ هي " كلمة انجليزية مشتقة من الاصل اليوناني المكون من مقطعين : انثروبوس anthropos ومعناه الإنسان، ولوجوس logos و معناه العلم و بذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ " علم الإنسان " أي العلم الذي يدرس الإنسان [3].

أما الأنثروبولوجيا اصطلاحا فقد حاول الكثير من العلماء تقديم تعاريفا لها، كل حسب اختصاصه وتوجهه الأيديولوجي، خاصة في بدايات التنظير لها كعلم لأنَّ "الأنثروبولوجيا أو علم الإنسان و الأناسة هي علم حديث نسبيا انبثق من رحم الفلسفة المتزاوجة مع البيولوجيا(علم الأحياء) بعدما سمي بالثورة الداروينية في منتصف القرن التاسع عشر، في الوقت نفسه تقريبا مع

[1] - منجي الشملي: الفكر و الادب في ضوء التنظير والنقد، دار الغرب الاسلامي، لبنان، بيروت ، 1985 ، ص: 10.

[2] - رالف لونتون: الانثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، تر: عبد الملك النقاش، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ص:14.

[3] - عيسى الشماس: مدخل الى علم الانسان (الانثروبولوجيا) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2004 ص: 13

(توأمه) علم النفس "[1]؛ أي أنَّها في بداياتها الأولى كانت تهتم بالإنسان فيزيقيا كما أنَّه عُدَّ "مخلوق ينتمي الى العالم الحيواني من جهة و من جهة أخرى أنَّه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها الذي يصنع الثّقافة و يبدعها ،و المخلوق الذي يتميز عنها جميعا [2]"، في حين انقسم مفهوم الأنثروبولوجيا حديثاً وفق ظهور مذهبين مختلفين: المذهب الانجليزي الذي يقصد بالأنثروبولوجيا (علم الإنسان و أعماله)، وينقسم بدوره الى: المدرسة البريطانية التي تهتم بدراسة الإنسان بيولوجيًا واجتماعيا، والمدرسة الأمريكية التي تدرسه ثقافيًا وبيولوجيًا، بالإضافة إلى علم الآثار واللغات، أما المذهب الآخر فهو: المذهب الأوروبي الذي يعنى بالخصائص أو الملامح الفيزيقية للإنسان، وهي ما يعرف بالأنثروبولوجيا الفيزيقية أو الطبيعية، من ناحية أخرى يقسم **مارسيل موس** دراسة الأنثروبولوجيا إلى ثلاثة مستويات :" الإثنوجرافيا، والإثنولوجيا والأنثروبولوجيا ... أما بالنسبة للأنثروبولوجيا نفسها فيعتبرها المحاولة الفلسفية ذات البعد الفلسفي لصياغة تعميمات عن الإنسانية والمجتمع وفق نتائج البحث لكل من الإثنوجرافيا والإثنولوجيا " [3] ؛ أي أنَّ الأنثروبولوجيا بالنسبة إليه تهتم بثقافة الإنسان ونُظمِه الاجتماعية، وكما أنَّها تقوم على الوصف الإثنوغرافي لثقافة هذه الشعوب والمقارنة الإثنولوجية لها، فهي عملية وصفية بحتة,

وفي تعريف آخر للأنثروبولوجيا يقول فيه صاحبه: " الأنثروبولوجيا فرع معرفي ذو مجالات عديدة و ارتباطات بعلوم شتى ، ولم لا وهو المجال الذي يرتبط مباشرة بالإنسان الذي تتمحور حوله معظم الأنشطة المعرفية و التطبيقية من علم النفس و الفيسيولوجيا والبيولوجيا وعلم الإجتماع ... إلخ "[4] ؛أي أنَّها علم شامل يربط بين مختلف العلوم الإنسانية، إلا أنَّها تتميز عنها في كونها تهتم بكائن واحد هو الإنسان عكس علم الأحياء،كما أنها تهتم به وبدراسته كنسق اجتماعي عكس

---

[1] - كليفورد غيرتز: تأويل الثقافات، تر: د محمد بدوي ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2009 ، ص 20.

[2] - عيسى الشماس: مدخل الى علم الانسان (الانثروبولوجيا)، ص: 14 .

[3] - توماس هيلاندا ريكسن، فين سيفرت نيلسرن :تاريخ الانثروبولوجيا ، تر: عبده الريس،ط1، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مصر ، 2014، ص: 8.

[4] -المرجع نفسه، ص 8.9

علم النفس الذي يهتم به كفرد فقط، و هذا ما دفع كروبر Kroeber و اخرون الى القول:" بأنَّها تهتم بالإنسان وأعماله وسلوكه في جماعته المختلفة و سلالته المتباينة [1]"، فهي تشمل كل العلوم التي تهتم بالأنسان وتأخذ منها ، و يعرفها **كلود ليفي ستروس** بقول " أنَّ الأنثروبولوجيا تهدف إلى معرفة كلية و شمولية للإنسان في علاقته بامتداداته التاريخية و محيطه الجغرافي"[2] ؛ أي أنَّها تدرس الإنسان الأول ومراحل تطوره عبر التاريخ من الناحية البيولوجيّة والثَّقافية الدينيّة والأخلاقيّة والإقتصاديّة...

قد عَرف العرب أيضا هذا العلم كغيره من العلوم الأجنبية من خلال الترجمة و المثاقفة و إن كان قد عُرف متأخرًا ، وقد عرفها **محمد حسن الغماري** بقوله:" أنَّ موضوع الأنثروبولوجيا هو دراسة الإنسان سواءً كان في الأزمنة السحيقة أو المعاصرة و ذلك بالتركيز على بحث و دراسة طرق حياة الناس الذين كانوا يعيشون في الماضي السحيق و كذلك طرق حياة الناس في الزمن المعاصر "[3] والملاحظ لهذا المفهوم يجده يَصب في نفس المفاهيم الغربية، ويتوافق مع التوجه الذي يرى بأن الأنثروبولوجيا علم يشمل دراسة الإنسان وسلوكاته قديماً و حديثًا.

يمكن القول أنَّ الأنثروبولوجيا هي علم شامل يجمع بين العلوم البيولوجية والاجتماعية والنفسية، وعلم الوراثة والتشريح والتاريخ والجغرافيا والآثار ... لدراسة الإنسان طبيعيًا، وكنسق اجتماعي وثقافي، وكفرد يعيش في مجتمع ما وفي إطار مكاني وزماني معين، فهي تسعى إلى التعرف على طريقة عيش المجتمعات، وبنظمها الاجتماعية والثّقافية والاقتصادية والسياسية والفنية والدينية وعلى الرغم من تعدد الاتجاهات والمسارات التي سار فيها هذا العلم نجده يستهدف أولاً و أخيرًا دراسة الإنسان من منظور كلي.

---

[1]- نقلا عن: فاروق مصطفى اسماعيل: الانثروبولوجيا الثقافية، الهيئة المصرية للكتاب، كلية الاداب جامعة الاسكندرية، 1980 ص 11.12

[2] - نقلا عن: مصطفى تلوين: مدخل عام الى الانثروبولوجيا، منشورات لاختلاف ،ط1 ، بيروت، لبنان ، 2011 ص21.22

[3] - كريمة شعبان: الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس اعلام واتصال، كلية الاعلام و الاتصال قسم علوم الاعلام، جامعة الجزائر 3 ، 2022، ص: 15.

ولا يمكن القول أنَّ الأنثربولوجيا هي دراسة الإنسان من الناحية الفيزيقية دون الثّقافية أو الاجتماعية، إنما هي تجمع بينها جميعًا، أما تلك التحديدات فما هي إلا أقسام وفروع الأنثروبولوجيا بحيث تقوم أو تُبنى على ثلاث أقسام أساسية (عضوية أو فيزيقية واجتماعية وأخرى ثقافية) تنحدر منها فروع أخرى، و تتناول مواضيع مختلفة منها (الأدب و الفن و الطب ...) بهدف وصف الظاهرة البشرية والحضارية و صفًا دقيقًا.

3 - النقد الانثروبولوجي:

إنَّ المتأمل في هذا المصطلح يجد صعوبة في تحديد تعريف واضح له، سواء عند الغربيين أو في الوطن العربي، ومع تحديد كل من مفهوم النقد الذي يشتغل في مجال الأدب و الأنثروبولوجيا التي تهتم بالإنسان وما ينتجه من سلوكات كفرد في المجتمع يتضح لنا أَّن النقد الأنثروبولوجي آلية من آليات دراسة و تحليل الأدب أو الخطاب الأدبي.

فالأدب عنصر مشترك بينهما حيث تربطه علاقة وطيدة بالأنثروبولوجيا كونه واحد من أهم الظواهر الإنسانية التي اهتمت بها الأنثروبولوجيا رغم إغفالها له في بداياتها، ولم يتجاوز اهتمامها بهذه النصوص الجانب التاريخي " لكن الأسس العلمية التي كانت تركز عليها الأنثروبوبوجيا تلك الحقبة سرعان ما تعرضت للتعديل فاضطر أهل الأختصاص إلى العودة من جديد إلى تسخير معارفهم وملكتهم النقدية لدراسة الآداب بعدما تركوها جانبا بتبنيهم الأسس السابقة "[1]، إلى أن ظهر فرع أنثروبولوجيا الأدب على يد الفرنسي **جان بيير جيرفود Jean pirre girfaud** و **جان بول توريل Jean raul tourrel** ،وفي الأصل انصب اهتمام الأنثروبولوجيين في البداية على "الانتاج الشفوي: كلام، وخطاب وغناء ، وهكذا فان نصوص الانثروبولوجيين المكتوبة تنهل في الاساس من

[1] - شادية بن يحيى: النقد الانثروبولوجي، محاضرة للسنة الثانية دراسات ادبية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق اهراس، ص:7.6.
https://www.univ-soukahras.dz/ar/profile/cbenyahia، 2025/01/04.

منابع التناقل الشفهي " [1]، للكشف عن عادات ومعتقدات الإنسان وطريقة تفكيره وتصوره للأشياء أو الظواهر المحيطة به سواء في القديم أو الحديث.

ثم انتقل الدرس الأنثروبولوجي إلى الأعمال الأدبية المكتوبة الرسمية منها دون أن يغفل الشعبية ، إذ توجد " مساحة مشتركة بين الدراسة الأنثروبولوجية والإبداع الأدبي و خاصة في العمل الروائي و القص ، لأن كليهما يستمد عناصره أو مادته الخام الأساسية من المجتمع ومن الواقع المعِيش" [2]، فكل من الأدب والدراسات الأنثروبوولجية يقومان في الأساس على الإنسان والمجتمع والواقع ، والخطاب الأدبي عبارة عن عمل إنساني ينتجه الفرد المبدع داخل مجتمعه وفي مكان و زمان معين ناقلاً لعاداته و معتقداته ونظمه الاجتماعية ، لذا فهو يعدّ مجالا خصبا للبحث الأنثروبولوجي.

يُعَّد جون بول **سارتر** Jean-Paul Sartre أحد أهم أعلام النقد الأنثروبولوجي وهو يرى بأنَّ الكتابة الأدبية هي أن يكتب الأديب عن العصر الذي يعيش فيه متحدثاً عن ظواهر وقضايا مجتمعه مضمنًا كل من الأنساق الّثقافية والاجتماعية السائدة في زمانه ومكانه[3]، فالإنسان بطبعه يتأثر ببيئته كما يؤثر فيها، فيسعى لوصفها بطريقته الإبداعية أو غير الإبداعية، ويقول عن ذلك أيضا: "إنَّ الكتابة هي إذن في الوقت نفسه كشف للعالم وعرض له كمهمة يتفضل القارئ بالقيام بها " [4]، فهذه النصوص التي يُبدعها الأديب على القارئ حسب **سارتر** أن يفُك شفراتها ذلك أنَّ" القارئ قادر وحده على تأويل هذا الأثر المتعدد الدلالة و بعبارة اخرى فإنَّ وِحدة الأثر الكاملة والسّرية لا وجود لها إلا بالقارئ ...قادرا على فك شفرة تكشف فريد على العالم "[5] ، فالمنهج

---

[1] - بونت بيار، ميشال ايزار ، وآخرون : معم الاثنولوجيا و الانثروبولوجيا ، تر: مصباح الصمد ،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط2، لبنان ، بيروت ، 2011 ، ص: 214.

[2] - سندس محمد عباس: انثروبولوجيا الأدب؛ دراسة لقصة (انا الذي راى...وثائق) للقاص محسن الرميلي ،مجلة القادسية للعلوم الانسانية ، مج19، ع1، 2016 ، ص: 46.

[3]- نقلا عن: فابريس تومريل : النقد الادبي، تر: الهادي الجطلاوي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، 2017 ، ص: 222.221.

[4]- المرجع نفسه، ص:221

[5] - المرجع نفسه، ص 222.221

الأنثروبولوجي يعدّ الكتابة الأدبية عملية وصفية للمجتمع، أما القراءة في ظل هذا المنهج هي كشف للواقع وفك رموزه واستخراج الدلالات المضمرة من خلال تحليل العلامات الّثقافية والاجتماعية، بالاستناد على السيّاقات الخارجيّة للنص منها التاريخية والاجتماعية والثّقافية[1] ... ، وبالتالي يصبح النقد الأنثروبولوجي عملية دراسة هذه النصوص الأدبية في ظل الثَّقافة التي انتجت فيها معتمدة خصائص الأنثروبولوجيا للكشف عن الأنساق المضمرة.

ومن خلال محاولة الربط والتنسيق بين النقد والأنثروبولوجيا وجدت أنَّ كلاهما يلتقي في ثلاث نقاط أساسية:

أ. اللاوعي الجمعي والانماط العليا عند كارل يونغ:

يَعدّ **كارل يونغ Carl Jung** من خلال اهتمامه بدراسة الأسطورة- أنَّ الأدب صورة رمزية عن اللاشعور الجمعي حيث أنَّ اللاوعي حسب مفهومه " لا يحتفظ بمواد شخصية وإنَّما بعوامل لا شخصية أيضا هي عوامل جماعية على شكل مجموعات موروثة و نماذج بدائية "[2]؛ أي أنَّ اللاوعي عنده اثنان: شخصي وفردي يقوم على ميولات ذاتية؛ وآخر: جماعي بمعنى يحتوي غرائز ومواد جماعية "وفكرة اللاشعور الجمعي لا تعني شعب معين وإنَّما، و من خلال نظريته هذه بعد تحليله لمجموع أحلام مرضاه و دراسته للأسطورة رأى أنَّ الأدب ناتج عن اللاوعي الجمعي لا عن اللاوعي الفردي، وقسم الأنماط إلى أنماط عليا و أنماط التحول، وربط الأنماط العليا بعملية انتاج الأدب فهذه الأنماط نفسها تتكرر حسب السيرورة الطبيعية للحياة، لكن بصور مختلفة، تكون رمزية مضمرة في النصوص الأدبية فهذه الأنماط " هي التي تتحكم في حركة الأدب و هي في حد ذاتها أشبه بالقوالب الفارغة إلا أنَّ الوعي هو الذي يجسدها و يجعلها قابلة للإدراك بإخراجها من حيز الكمون إلى حيز الفعل و ادراجها في الزمان و المكان في شكل صورة " [3]، فالأنماط العليا بمثابة أداة لفهم الأدب وتحليله بالوقوف على خلفياته وهذا ما يسعى إليه النقد الأنثروبولوجي بالأساس لأنَّ الأدب ما

---

[1] - ينظر: مرسي رشيد: التعالق النفسي الانثروبولوجي الفلسفي الرمزي المؤسس للنقد الاسطوري، مجلة دراسات معاصرة، جامعة تيسمسيلت، مج3، ع2 ، 2019 ، ص43.

[2] - المرجع نفسه، ص 44.

[3] - المرجع نفسه، ص 44 .

هو إلا تعبير غير مباشر عن تلك الأنماط، فتعمل الأنثروبولوجيا على تحليل علاماته وتأويل رموزه مستعينة بمبادئ علم الأنثروبولوجيا للكشف عن هذه المضمرات الّثقافية والاجتماعية، فمثلاً : لو تحدثنا عن الأسطورة كجنس أدبي يفسر **جيمس فريزر** في **كتابه الغصن الذهبي** مردها قائلاً : " فبعد مرور زمن طويل على ممارسة طقس معين وفقدان الاتصال مع الأجيال التي أسسته يبدو الطقس خاليا من المعنى و من السبب والغاية و هنا تأتي الأسطورة لإعطاء تبرير لطقس مبجل قديم، لا يريد أصحابه التخلي عنه "[1]، وبالتالي التوظيفات المتكررة للأسطورة في الكتابات الأدبية مردها إلى اللاشعور الجمعي الذي يحتفظ بها، وهنا تكمن وظيفة النقد الأنثروبولوجي في الكشف عن الأنماط التي يضمرها الأدب الذي يعيد رسمها بألوان جديدة يبدعها الأديب.

ب. النقد الثقافي:

وهو أحد المناهج النقدية الحديثة التي أحدثت ضجة على الساحة النقدية حيث يركز على تحليل و تفسير النصوص الأدبية الفنية في اطارها الثقافي والاجتماعي ،ويعرفه **عبد الله الغذامي** في قوله : " النقد الثقافي يبين الأبعاد الاجتماعية والتاريخية لنص معين و مدى تفاعله مع الثّقافة كما يربط بين البنية اللفظية والوضع الاجتماعي والفكري والثقافي ...من ذلك هو ... معين بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليا الخطاب الثقافي بكل تجلياته و أنماطه و صيغه "[2]، فالنقد الثّقافي عنده يقوم على نظرية الأنساق المضمرة التي تنطوي تحت الكتابة الجمالية التي توظفها النصوص الأدبية والمقصود بالنسق المضمر هو: " إنَّ الثّقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة و تتوسل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة ...أي أنَّ الخطاب البلاغي الجمالي يخبئ من تحته شيء آخر غير جمالي"[3]، فالنص الأدبي يتكون من نسقين: الأول هو اللغة الجمالية والتي يهتم بها النقد الأدبي، والأخر: النسق الثقافي المضمر الذي أغفله النقد الأدبي واهتم به النقد الثقافي

---

[1] - المرجع السابق، ص 45.

[2] - عبد الله محمد الغذامي: النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ط2، 2001، ص83،84.

[3] - عبد الله محمد الغذامي، وآخرون: نقد ثقافي أم نقد ادبي ؟، دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع ، دمشق، ط1، 2004 ، ص:30.

الذي يتعامل مع الخطابات الأدبية على أساس أنَّها نص ينطوي على رموز وعلامات ثقافية، واجتماعية ... فيحللها ضمن سياقتها (الثّقافية والاجتماعية، والتاريخية والدينية والسياسية والاقتصادية...) وبالتالي تصبح الكتابة البلاغية الجمالية حسب النقد الثقافي ما هي إلا قناع لتمرير هذه الأنساق المضمرة بطريقة مضللة.

كذلك هو النقد الأنثروبولوجي يتعامل مع النص بوصفه حاملا لأنساق مضمرة قد تكون ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية أو فكرية أو دينية ... فيعمل على تحليل الرموز الدالة على هذه الأنساق وتأويلها حسب السياق التي أنتج فيه النص الأدبي .

ج - البنوية :

يعرفها الناقد الفرنسي **رولان بارت R- Barth** على أنَّها :" أسلوب و طريقة لتحليل المنتوجات الثقافية[1]" ذلك أنَّها تفترض انَّ المجتمعات الإنسانية تقوم على بنى ثقافية وفكرية، وقد أثرت البنوية في الأنثروبولوجيا بشكل بارز حيث أصبح لها منهجًا جديدًا في دراسة النصوص الأدبية يقوم على البحث عن البنى العميقة لها وخاصة مع كل من **فلادمير بروب V - Propp** عند دراسته وتحليله للقصص التي يعدّها قصصا رمزية تقوم في الأساس على بنى لقصص حقيقية ، **و كلود ليفي ستروس** الذي اهتم بدراسة الأساطير التي تحمل عناصر وبنى أصلية ذات معاني ويرى: " أنَّ البنائية أسلوب ومنهج للتفكير والبحث على اعتبارها منهجا يمكن اتباعه وتطبيقه في مجالات الدراسات الإنسانية و الاجتماعية الأخرى "[2]، حيث وظفتها الأنثروبولوجيا لدراسة وتحليل النصوص الأدبية واستخراج البنى الثّقافية والاجتماعية المضمنة من ظواهر شعبية اجتماعية طقوس وأساطير ومعتقدات وعادات... ؛ أي ربط النص بالبنى السياقية المحيطة به والتي أنتجه، وبالتالي دراسة هذه الظواهر الأنثروبولوجية والنظم الاجتماعية والثّقافية داخل النص الأدبي وكأنها بنى

---

[1] - أحمد ابو زيد : المدخل الى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة ، ط1، 1995، ص:67.

[2] - سامي الوافي: النقد الانثروبولوجي، محاضرات (مقاربات نقدية معاصر) للسنة الثانية ليسانس، تخصص: دراسات أدبية، قسم اللغة و الادب عربي، جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي ، https://tele-ens.univ-oeb.dzK، ص: 41.

لغوية من (نظم الزواج والسحر والطلاسم والأساطير والطقوس والطوطم والطعام ... وغيره) "أراد ستروس اثبات سيادة قوانين واحدية تتحكم في اللاشعور، تلك القوانين التي لطالما أثبت عالم اللسانيات فرديناند دي سوسير وظيفتها على المستوى العقلي في مجال عمل اللغة ."[1]

وبالتالي وظّف النقد الأنثروبولوجي البنوية لدراسة وتحليل البنيات الثّقافية والاجتماعية داخل النصوص الأدبية أي أنَّه تعامل مع الخطاب الأدبي على أنَّه نص حامل لمجموع بنيات وربطها بالسياق ا الذي انتجها، فالظروف المحيطة بالنص تعد الدافع الأول وبداية انطلاق العملية الإبداعية والفنية.

وخلاصة القول: إن النقد الأنثروبولوجي هو نقد يدرس ويفسر النصوص الأدبية حسب السياق الذي أُنتجت فيه؛ أي أنَّه لا يهتم به كعمل جمالي وحسب وإنما يركز على الأنساق الثّقافية والاجتماعية التي يضمرها، كما يتبنى النقد الأنثروبولوجي مبادئ علم الأنثروبولجيا في تفكيكه لهذه البنى المرسخة أساسا في اللاشعور الجمعي، والأدب في الأساس عنصر مهم يربط بين النقد والأنثروبولوجيا، كما تربطه علاقة تأثير وتأثر بالأنثروبولوجيا حيث كلاهما يخدم الآخر؛ فالأدب مادة اشتغال الأنثروبولوجيا ومن خلاله تتمكن من تحديد البنى الثّقافية والتنوع الثقافي ومفاهيم الهوية والنظم الاجتماعية المختلفة، كما تحدد كيف تأثر هذه العناصر في عملية انتاج الأدب .

أما فيما يخص آليات تطبيق النقد الأنثروبولوجي فهو يعتمد على المنهج التأويلي للنصوص الأدبية، فهذه الخطابات في الأساس ما هي إلا تأويل رمزي للواقع والحياة اليومية بكافة مظاهرها، وبالتالي النقد الأنثروبولوجي لا يعتمد المعايشة والملاحظة وغيرها من الآليات التي يعتمدها المنهج الأنثروبولوجي؛ فعملية تحليل الأنثروبولوجي للأدب ما هي تفكيك واعادة ترتيب للعلامات والرموز التي تحمل المعاني في ظل سياقها الاجتماعي الثقافي، وهو ما يقوم به الناقد الادبي تجاه اللغة البلاغية الإبداعية للنص عادة، وبالتالي فهو يقوم على العملية التأويلية بالدرجة الأولى للبنى والرموز والعلامات الثقافية والاجتماعية التي يضمرها النص تحت عباءته البلاغية الإبداعية .

[1] المرجع السابق،ص: 43 .

ثانيا: المنهج السيميائي:

المنهج السيميائي هو منهج غربي النشأة، وواحد من أهم المناهج التي استطاعت أنَّ تفرض نفسها على الساحة النقدية الأدبية الحديثة والمعاصرة، كما كان له مكانة في العديد من المجالات العلمية، فهو تقريبًا جزء من كل العلوم، حيث أنَّه: "لقيَّ عناية بالغة في العلوم الإنسانية وأعطى امتدادا أقصى بوصفه منهجية للعلوم الإنسانية واتسع لذلك استخداماته لدراسة كل مظاهر الثقافة كما لو كانت أنظمة للعلامة وعندئذ صار للمنهج السيميائي منهجا مهجنا تمخض عن الدراسات الأنثروبولوجية واللسانية والنفسية والاجتماعية ".[1]

يتفق الدارسون على صعوبة تحديد ملامح السيميائيات ووضع تعريف واضح لهذا العلم لاختلاف الآراء فيه ، وتاريخ السيمياء قديم بألفي سنة تقريبًا، فقد حفل التراث الإنساني الغربي والعربي بجذور فكرية سيميائية؛ حيث ارتبطت بداياته بالفلسفة القديمة التي تعد أول من عنيت بالعلامات ليس من باب المعرفة وإنَّما من باب الشك ، إلى أنَّ : " صياغة حدودها النظرية وتحديد مجالاتها لم تبدا إلا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين "[2] ، بعدما أسس لها كل من الفيلسوف الامريكي **تشارلز ساندرس بيرس Charles Sanders Peirce (1914.1838)**، والعالم اللغوي السويسري **فرديناند دوسوسير (1857.1913)** ، اللذان كانا سببا في التعبير عن السيمياء بمصطلحين هما السيميولوجيا والسيميوطيقا و كلاهما مشتق " من اللفظة الاغريقية **simion** بمعنى الإشارة أو العلامة "[3]، من هنا برزت اشكالية فوضى المصطلحات عند كل من الغرب والعرب.

واختلاف اللفظين راجع إلى اختلاف مرجعية هذان القطبان (الامريكي والأوروبي)، فالسيميائية أو السيميولوجيا عند دوسوسير ومن معه من أتباع المدرسة الأوروبية هي: " علم يدرس حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية والنص الذي يُتلى دائما هو اللغة نسق من

---

[1] - سعد سرحت : الانثروبولوجيا والسيمياء – مقاربات أنثروبولوجية تاويلية في ثلاث نصوص ثقافية اجتماعية – منشورات نون للنشر و التوزيع ، بغداد، ط1 ، 2017، ص: 52.

[2] - سعيد بن كراد: السميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط3، 2012، ص25.26

[3] .المرجع نفسه، ص 26,

العلامات المعبرة عن الأفكار وهي لذا تقارن بالكتابة وبحروف البكم الصم وبالطقوس الرمزية وبعبارة الآداب العامة وبالعلامات العسكرية إلى اخره ... ويشكل هذا العلم جزءا من علم النفس العالم "[1] ؛ أي دراسة وظائف العلامات ضمن الحياة الاجتماعية؛ فالحياة اليومية للإنسان هي رموز تحمل دلالات متعددة.

أما الأمريكي تشارلز سندرس بيرس فيرى:" أنَّ وظيفة الدلالات المنطقية هي النقطة التي تسعى السيميوطيقا إلى رصدها، وهذا جعلها مناط دراسة التجربة الإنسانية عامة منطلق بالأساس من اعتبارها تحرك باقي العلوم الأخرى سواء علوم إنسانية أو غيرها، بَنى نظريته على (الرياضيات المنطق والفيزياء الفلسفة)"[2]

وبالتالي فكل من السيميولوجيا والسيميوطقا يختص بدراسة العلامة، أما الفرق بينما يكمن في وظائف هذه الدلالات أو العلامات، وأنَّ كل منهما ينطلق من أسس مختلفة؛ فسوسير لساني متأثر بعلم الاجتماع، وبيرس فلسفي متأثر بالمنطق والرياضيات.

1- **عند العرب :**

عرفت ارهاصات السيميائيات عند العرب أيضا في القديم والحديث وقد :"ارتبطت عند العرب قديما بالسحر والطلاسم التي تعتمد أسرار الحروف و الرموز و التخطيطات الدالة "[3]، وأيضا بعلوم أخرى كالهندسة والطب، فقد اهتم بها كل من علماء التفسير والفقه واللغة والبلاغة، كما انطوت تحت عنوان (علم الدلالات) في التراث العربي، وانتقلت حديثاً إلى الوطن العربي كعلم أو نظرية ممنهجة من خلال الترجمة والاحتكاك بالغرب كغيرها من العلوم والمناهج الغربية، و إن كانت متأخرة نسبيًا، وقد اهتم بهذا المنهج مجموعة من نقاد الوطن العربي مغربه ومشرقه :" سواء على مستوى الترجمة أو التنظير و التطبيق **كمحمد مفتاح ومحمد الماركي و أنور المرتجي وقاسم**

---

[1] - بيير جير: السيميائيات- دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية، تر:منذر العياشي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 2016 ،ص 5.

[2] - المرجع نفسه، ص: 55.

[3] - فريدة ساعي: آليات التحليل السيميائي في الديوان" دم البياض للبشير بن عبد الرحمان" ؛ دراسة سميائية تحليلية ، مجلة النص، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، مج ،10 ع 2 ، 2024، ص:412.

المقداد و عبد الله الغذامي وصلاح فضل وعبد الملك مرتاض وعبد القادر فيدوح و عبد الحميد بورايو و حسين حمري و رشيد بن مالك و سعيد بوطاجين و محمد الناصر العجمي " [1].

ويُعرفها **صلاح فضل** بأنها :"هي العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة"[2]؛ أي أهمية استخدام العلامات والرموز لنقل المعاني والدلالات في مختلف المجالات، والملاحظ على هذا التعريف العربي للسيميائيات يجد أنه لا يختلف عن التعاريف الغربية، وبالتالي: فالسيميائيات علم غربي له جذوره فلسفية غربية وأخرى عربية، تهتم بدراسة الإشارات أو أنساق العلامات والرموز التي تتمثل في اللغة والأصوات والصور والإشارات والفنون والنصوص الأدبية، وكافة المظاهر اليومية الثّقافية والاجتماعية، وكل ما يحمل دلالات، فمجالها واسع وشامل يشمل مختلف أشكال التعبير والتواصل، وتهتم بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية فهي " منهج علمي وإجرائي في الدراسات الأدبية وتحليل النصوص الأدبية بالدرجة الأولى " [3]،

ويعتمد المنهج السميائي على آليات خاصة في تحليله للعلامات الدالة إلا أنَّها تختلف حسب نوع الدراسة والخطاب الذي تدرسه(نص سردي أو شعري أو صور إعلانية إشهارية أو صوت أو لوحة فنية)؛ أي حسب ما تقتضيه طبيعة الدراسة والنص.

---

[1] - فاطمة عسول، واخرون: اليات تطبيق المنهج السيميائي لدى طلبة الجامعة -نماذج مختارة من مذكرات التخرج- مجلة جامعة الشهيد حمة لخظر ، الوادي ، مج7، ع1 ، 2022 ، ص: 275.

[2] - المرجع نفسه ، ص : 273

[3] - جيرار دول دال: السيميائيات أو نظرية العلامات ، تر: عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص: 7.

الفصل الأول: الوشم: (الماهية؛ والنشأة والتطور)

تمهيد:

1 - مفهوم الوشم:

2. نشأة الوشم و تطوره :

3 -الوشم و الدين :

تمهيد:

خلّدت لنا الذاكرة الثقافية و الاجتماعية عادات و تقاليد و معتقدات صورتها فنون لا حصر لها على مر العصور و الأزمنة فلكل عصر أو حقبة زمنية معينة أحداثها التاريخية و مكوناتها الثقافية و موادها الفلكلورية الفنية الخاصة التي تعبر عنها و التي هي بمثابة وثائق تاريخية و ذاكرة العصر الخالدة و قد اتخذت هذه الفنون أشكالاً عديدة و مختلفة قد تكون نقشًا أو رسمًا أو غناءً أو رقصًا ...إلخ فهي لا تقتصر على الكتابة الفنية أو النصوص الأدبية بل أنَّها تتجاوز ذلك إلى أشكال تعبيرية تخرج عن سلطة الحرف اللغوي الكتابي إلى سلطة السمعي المرئي .

يُعَّد الوشم أحد الظواهر الثقافية التي عرفتها المجتمعات البدئية واتخذت منها شكلاً تعبيريًا عن ذاتها و معتقداتها وهي ليست وليدة تحضر الإنسان و مدنيته بل هي أحد أعرق الفنون الشعبية التي عرفها الإنسان قبل الميلاد، و مارستها العديد من الشعوب و الحضارات كالمصريين و الإغريق و الصينيين و اليبانيين و الهنود و غيرهم .. وساد الاعتبار أنَّها أحد أغراض التجميل الجسدي ، إلا أنَّ الوشم نوع من أنواع الرسم و النقش على الجدران و الكهوف الذي عرفه الإنسان للتواصل و التعبير فهو من منظور الأنثروبولوجيا :" الكتابة على الجسد و شكل من اشكال التواصل الاجتماعي حيث إن التواصل من منظورها يتجاوز المفهوم التقليدي الذي يختزل في اللغة المنطوقة و المكتوبة بل يشمل ايضا الموسيقى و الفنون الجميلة و المسرح و الرقص و كل سلوك انساني في الواقع"[1] ، فقد كان ضرورة أكثر منه فناً ،لأنَّ الإنسان كائن اجتماعي بطبعه تواصلي بالدرجة الأولى ،فراح ينقش مساحات واسعة على جسده مستغلاً كل ما يقع بين يديه من أدوات بدائية ليعلِّم بها على جلده أثاره وأثار محيطه، فالجسد من هذا المنظور أضحى وسيلة للتعبير بين الأفراد و الجماعات يعرفه مرلوبونتي : "موطن ظهور للتعبير كما أن كل استعمال للجسد هو تعبير أصلي و أولي هذا التعبير هو الذي يجعل الذات تخرج من ذاتها و تتصل بالذوات الأخرى في طريق العلامات و الرموز[2]" .

[1] محمد حلوس : انطولوجيا الوشم (مقاربة انثروبولوجية في حفريات الجسد الامازيغي) ،مجلة علوم اللغة العربية و آدابها، مج 14 ،ع2 ،2022 ص : 375.376.

[2] حسين عباسي : الوشم لدى القبائل الافريقية الوسطى (الذات و الموضوع)مجلة الثقافة الشعبية ، ع 13 ، 2011 ، ص: 83 .

بالإضافة إلى أهمية الجسد في الحفاض على الحياة فهو أيضا يشكل عنصرا أساسيا في تفاعل الفرد مع البيئة، فيعكس الحالة النفسية و العاطفية للفرد، فهو نسق من العلامات و الرموز الثقافية و الاجتماعية المضمرة ، كما يعبر عنه "فوكو" الجسد سطح لنقش الأحداث[1]، و نص ثقافي يضمر دلالات إنسانية عميقة ، ويصبح بذلك الوشم نقطة تلاقي اللغة بالجسد ليتحول الجسد الى خطاب لغوي تواصلي و قالب لمجموع علامات رمزية دلالية.

نالت ظاهرة الوشم مؤخرًا اهتمام كبير من قبل علماء الأثار و الدراسات الإنسانية و الأنثروبولوجيين لانتشارها داخل كافة الشعوب القديمة بأشكال مختلفة من أمة لأخرى و ما يحيطها من غموض وهذا ما يقودنا إلى التساؤل عن ماهية ومفهوم الوشم و كيف نشأ و تطور ،لذا وجب علينا التطرق الى مفهوم هذه الظاهرة الثقافية ،و نشأته و تطوره ؟ و كيف مورس؟

1 - مفهوم الوشم:

حفلت المعاجم بمعاني لفظة الوشم و لا سيما المعاجم العربية لكونه أحد أهم أغراض المرأة العربية، ومع ذلك لم تورد الكتب تعاريف واضحة للوشم إلا البعض منها حيث اعتبرته جزءًا من التراث الشعبي و التي حملت على عاتقها نفض الغبار عن جذور هذه الظاهرة الشعبية .

أ- لغة :

ورد معنى الوشم في المعاجم العربية على صورتين، أولاً الوشم كظاهرة طبيعية ؛ف في معجم الوسيط: " (أوْشَمَ) فلانٌ يفعلُ كذا : أخَذ .و.في الأمر : نَظَر فيه . و.في عِرْض فلانٌ : عابه وسبَّه، و الفتاةُ بدأ ثديُها يَنْتَأُ .و.الإبل : صادفت مَرْعًى مُوشِمًا . و.السَّماءُ: بَدا منها برقٌ . و.البرقُ: لمع لَمْعًا حفيًّا . و.الأَرضُ : ظهر شيءٌ من نباتِها ، و النَبْتُ ظهر أولُه . و.الكَرْمُ : إبتدأَ يلونُ . و.تمَّ نظجُه . و.لانَ وطابَ . و.الشِّيبُ في الرَّأْسِ : كثُر و انْتشرَ.و.(وَشَّمَ) الغُصنُ : بَدا ورقُه . و في (الوَشْمَةِ) يقال : ما أصابتْنَا وَشمةٌ : أي قطرةُ مطرً ."[2]؛فالوشم حسبه يمثل ظاهرة طبيعية مرة يرتبط بالسماء عندما تتهيأ لتمطر فتلمع برقًا و مرة

[1] محمد حلوس: انطولوجيا الوشم ، مرجع سابق ،ص : 376.

[2] عبد الله البستاني : المعجم الوسيط ، تح: الإدارة العامة للمعجمات و احياء التراث ،مكتبة الشروق الدولية لجمهورية مصر العربية ، 2004 ، ص : 1035.

يرتبط بالأرض عندما تُنْبت زرعًا و ثمارًا و كلاهما إشارة للخصب و النماء ؛ فظهور شيءمن نباتها و أشجارها و تشكل الثمار ونضجها من تباشير انبعاث الحياة.

والوشم من هذا الباب يحمل دلالات مُفْعَمَةٌ بالإيجابية وهو تفاعل الطبيعة مع ذاتها ،و المعنى نفسه ورد في المعجم الصحاح:" إبن سكيْت قال : ما عَصَيتَهُ وشْمَةً ، أي كَلِمةً ، و ما أصَابَتْنَا العَامَ وشْمَةٌ ، أي قَطرَةُ مطرً، و يُقالُ بيْنهمَا وَشِيمةٌ اي كلامُ شَرٍّ و عداوةٍ ، و أوْشَمَتِ الأرْض : ظَهَر نباتُها ، وأوْشَم البرْقُ: لَمَع لمعًا خفيفَا ، قال أبو زيدٍ : هو أوَّل البرق حين يبرُقُ ، أوْشمتُ في الشيءِ : نظرَ فيه ،و الوَشْم بلدٌ ذو نخل، به قبائل من ربيعة و مضر ، دون اليمامة ، قريب منها يقال له وشْمُ الناقةِ "[1].

أما الصورة الأخرى تمثلت فيما يصنعه الإنسان عند تفاعله مع الطبيعة ،جاء الوشم في لسان العرب عند إبن شُمَيْل على أنه :" الوُسُومُ و الوُشُومُ والعَلاماتُ ، إبن سيدَه: الوَشْمُ ما تَجْعَلُهُ المَرأةُ على ذراعِها بالإبْرَةِ ثُمَّ تَحْشُوهُ بالنَّؤُورِ ، و هو دُخانُ الشَّحمِ ، و الجمعُ وُشُومٌ ووِشَامٌ ، و فيه يقول أبو عُبَيْدً : الوَشمُ في اليَدِ وذلك أنَّ المرأةُ كانت تَغْرِزُ ظَهرَ كَفِّها و مِعصَمِها بالإبرةِ أو بمِسلَةٍ حتى تؤَثِّرَ فيهِ ، ثُمَّ تحْشُوهُ بِالكُحلِ أو النِيلِ أو بالنَّؤُورِ، فَيَزرَقُّ أثَرُه أو يَخْضَرُّ "[2]؛ أي ممارسة تقوم على تجريح طبقة الجلد بالإبر فيترك علامات على يدها وقد يكون في مواضع أخرى من جسدها ، ثم تضع فوقها مواد أغلبها من نبات أو قد يكون كحل و الذي يزين به العين في العادة فيترك سوادًا حولها أو تضع النَّؤور، و هو"حَصَاةٌ مثل الأثْمَدِ تُدَقُ فتَسُفُها اللَثَّة ، و قال الليث النَّؤَور دُخَان الفتِيلةِ يُتَّخذ كحلاً أو وشمًا ، أو النَّؤَور الشَّحمُ الذي يلتَسِقُ بالطَسْتِ وهو الغَنْجُ أيضًا" [3]، و تستخدم لتلوين تلك الجروح فبعدما يلتئم الجرح يظهر على شكل علامة أو رسم معين بلون قد يكون أخضر أو أزرق أو أسود وهي الألوان المعتادة في الغالب الأعم .

كذلك جاء في المحيط : " الأشْمُ أيضًا : الوَشْمُ ، و اسْتَوْشَمَهُ : سألَهُ أَن يَشِمَهُ ، و اسْتَوْشَمَتْ المرأة : أرادتْ الوَشْمُ أو طَلَبَتْهُ ...ووُشُومُ الظَّبيَةِ و المهاةِ : خطوطٌ في الذِراعينِ ... و في الحديث : أنَّ داود

[1] ابي نصر اسماعيل بن حماد الجواهري : الصحاح " تاج اللغة و صحاح العربية " ، مر : محمد تامر ، مج 1 ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، 2009، ص: 1248.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مج 6،ج55 (م.ي) ، دار المعارف ، القاهرة ، ص: 4840.

[3] المرجع نفسه، ص: 4840.

عليه السلام وشم خطيئَتَه في كفه فمَا رفع إلى فِيهِ طعامًا و لا شرابًا حَتَّى بأَشَرَهُ بِدُموعِهِ، مَعناهُ نقَشَها في كَفِّهِ نقَشَ الوشْمِ ."[1],

نتبين أن الوشم ارتبط بالمرأة أكثر من غيرها كأنما هو بصمة لجمالها و أنوثتها وقد شبهت تلك الرسوم بخطوط المهاة وهي من أجمل الحيوانات العربية الصحراوية و التي تُعَّد رمزاً لجمال المرأة العربية ، كما حمل الوشم معنى سلبي حسب ما ورد في الحديث أنَّه كان رمز خطيئة ليتذكر ذنبه كلما رآه." وجاءَ في حَديثِ أبي بكرٍ لمَّا استَخلَفَ عُمرُ رضيَ الله عنهمَا أَشرَفَ من كَنِيفٍ و أَسَماءُ بنْتُ عُميْس مَوْشُومَةُ اليَدِ مُمْسِكَتَهُ أَي مَنْقُوشَةٌ بالحِنَّاءِ " [2]، ومنه إنَّ الوشم ليس بالضرورة أنْ يتم من خلال الوخز و إسالة الدم و المهم هو ترك علامة على الجلد بلون معين كالحناء التي عادة ما تلَّون بها المرأة العربية يديها دون وخز أو إحداث أي جرح .

أما الوشم عند الغرب تقابله كلمة تاتو Tatoo في اللغة الإنجليزية و التي تعني العلامة المرسومة على الجسد البشري و هي كلمة "اشتقت من اللغة البولينزية للمجتمعات أو سكان جزر تاهيتي أصله كلمة tatou أو tatahoo و التي تعني وضع علامة حيث تحمل كلمة tatoo المقطع ta ويعني علامة ، و ذلك يتم عن طريق حقن لون أسود تحت البشرة بحيث يبقى الأثر من غير أن يمحى[3]"، ثم دخلت على اللغة الفرنسية و كتبت tatouage و منها انتقل إلى باقي اللغات الأوروبية.

و قبل ذلك كانت تقابل لفظة (الوشم) لفظة (stigma) وهي كلمة يونانية و تعني الوخز بواسطة أداة حادة ساخنة حسب رواية هيرودوت إلا أنَّ هذه الكلمة آلت للزوال في اللغة الفرنسية لتفسح المجال لكلمة trace(أثر) وmarque (سمة) [4]".

أما في الموسوعة البريطانية للديانة و الأخلاق : encyclopedia of religion and ethics فقد جاء أن الوشم عبارة عن " عادة لإكساب مواضع من جسم الإنسان علامات محددة عن طريق التقريح

---

[1] الفيروز أبادي : قاموس المحيط ،مج1، دار الحديث ،القاهرة مجاد1 ، 2001 ، ص: 10124.

[2] إبن منظور: لسان العرب، ص: 4840.

[3] دايفيد لوبروتون : علامات الهوية (وشوم وثقوب وأمرات جسدية أخرى)، تر: عبد السلام بن عبد العالي ، ط1 ، صفحة سبعة للنشر و التوزيع ، 2022 ، ص: 44.

[4] ساري وهبة و آخرون : الوشم التقليدي على الجسد الانثوي جمال وهوية (قراءة انثروبولوجية في الدلالات الرمزية) ،مجلة الخلدونية، مج 10، ع 2 ، 2017 ، ص : 65.

أو الكي أو غير ذلك من العادات "[1]، و بالتالي الوشم هو عبارة عن رسوم تُعَلَّم على جلد الإنسان في أماكن مختلفة من جسمه من خلال الوخز بالإبر أو الكي بالنار أو إحداث جرح بأدوات حادة ثم ذر مواد مختلفة قد تكون نباتية أو كيميائية و عادة ما يتمثل في الكحل و النِّيل أو دخان النار الذي يلتصق على الأواني عند الطبخ أو على الحِجارة ليعلَّم ويترك لون على الجسد بشكل دائم كما قد يكون علامة مؤقتة من خلال رسم أشكال بألوان نباتية كالحناء التي تزول بعد أيام دون اللجوء إلى إحداث جرح و في النهاية يعطينا شكل ما بلون معين قد يكون أسود أو أخضر أو أزرق و غيرها من الألوان إلا أنَّها هذه الأكثر شيوعا في الوشم القديم .

ب . اصطلاحا :

لا شك أنَّ الوشم هو شكل من أشكال الرسم و النقش على الجسد ، وقد عُرِفت له عدة تعاريف تارة تتخذه أداة تجميلية و تارة أخرى تصنفه كأحد أشكال الخطاب، إلا أنَّها لا تخرج من بوتقة أنَّ الوشم هو تلك العلامات الجميلة التي تزين الجسد و تحمل رموز دلالية ، يقول فيه الشيخ ابن جبرين : " الوشم هو ما يفعله الناس بجلودهم حيث يغرزون في ظاهر الجلد بإبرة أو شوكة عدة غرزات حتى يخرج منها الدم ثم يمسحون تلك الغرزات بدواء أصفر كالعُصفر و الزعفران و الكركم و الورث فيدخل في داخل البدن مع تلك المنافذ التي من أثار غرز الإبر فيتشربه الجلد ، فإذا انضمت تلك الطعنات بقيَ ظاهر الجلد فيه تلك النقوش سواء كانت في اليدين أو الرجلين أو الخدين أو الجبين أو نحو ذلك"[2]، وهو شرح مبسط لعملية الوشم التقليدية التي تقوم على الغرز بالإبر حتى يخرج الدم فيلون بمواد طبيعية تتخذ للعلاج غالبًا و أشياء أخرى كالنِّيل و الكحل و دخان النار وغيرهم مما يترك أثار خطوط و نقاط، و لا يكتفي بموضع واحد من الجسم بل يكون في مختلف المواضع.

في حين تعرفه عصمت محمد : " يُعتبر الوشم مقدمة الألوان الطبيعية ويتم عن طريق تقطيع الجلد أو تشريطه ، و له انتشار كبير في العالم، و استخدام الوشم بغرض التزيين و التجميل هو الأكثر

---

[1] نسيمة طايلب : تشظي المعنى في رموز الوشم (من سيسيولوجيا الجسد الى سيميولوجياالوشم) ،مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية و الانسانية ، مج 07 ، ع 20 ، 2021 ، ص : 513.

[2] محمد فنخوري العبدلي : الكلام الموشوم في بيان حكم الوشوم ، محا القريات فظة ، 1432هـ ، ص: 5.

شيوعًا "[1]؛أي أنَّ الوشم من أولى الطرق التي أوجدت لتزيين الجسم و تلوينه بألوان طبيعية قبل اختراع الألوان الصناعية التي عرفها الوشم اليوم، كما أنَّه لا يقوم على الوخز وحسب وإنَّما هو عملية تشريط وهي إحداث جروح وحفر أشرطة عميقة بالموسة و أدوات حادة أخرى.

وهذا ما ذهب إليه يوسف فضل فيقول: "الوشم هو الدق بالإبر على الشفاه أو الأيدي ، ثم حشوه بالكحل الأسود و هو يستخدم للتزيين ، و قد عرفته شعوب كثيرة في العالم على العكس من الشلوخ التي عرفت داخل القارة الافريقية فقط "[2]، فالوشم عنده يكون إما على الشفاه أو الأيدي كما أنَّه لا يقتصر على أمة دون غيرها و إنَّما هو منتشر عند كل الشعوب تقريبًا ، وهذه التعاريف لا تبتعد عن المعاني التي وضعتها المعاجم كما رأينا سابقاً و التي لا تخرج عن فكرة تفسير طريقة ممارسة الوشم و لاسيما عند الشعوب البدئية لأَّن الوشم الذي نشهده اليوم لا يعتمد إبر بدائية و أدوات حادة بسيطة و ألوان طبيعية و إنَّما يتم من خلال آلات كهربائية خاصة مجهزة بأصباغ كيميائية تتوفر على كل الألوان عكس الوشم التقليدي الذي ينحصر في ألوان محدودة ، بالإضافة إلاَّ أنَّ عملية الوشم الحديثة و المعاصرة سريعة و لا تستغرق الكثير من الوقت و أكثر احترافية مع ذلك تظل عملية مؤلمة وخطرة، و قد أصبح الوشم اليوم يُعْتمد في المجال الطبي كنوع من أنواع التعديل الجسماني.

من منظور آخر الوشم : " هو فن له دلالات عقائدية و فلسفية و اجتماعية ...يبقى على جسد الإنسان مدى الحياة ، و ينتشر في الريف العربي كلَّه "[3]؛ أي أنَّه ليس مجرد ممارسة شعبية و إنَّما عمل إبداعي قد لا يتقنه أي شخص و الفن بشكل عام هو تعبير عن مشاعر و أفكار ، كما أنَّه ناقلاً لرسائل و ثقافات أو حتى أحداث مهمة ، كما أنَّ الفن شكل من أشكال الاتصال المرئي كما هو الحال مع الرقص و الرسم و النحت و العمارة و غيرها من أنساق الاتصالات الأخرى ،و بالتالي الوشم يتسع ليشمل معاني أعمق من فكرة الزينة و التجميل ، فقد ترمز علاماته إلى تحديد الانتماء القبلي أو تحديد الجنس و السن و هوية الفرد ،وقد يحمل كذلك قيمة طبية علاجية أو قيمة سحرية، و أخرى

[1] سمية محمد عبد المجيد و آخرون : فن الوشم كمدخل لآثراء التصميم النسجي ، مجلة التربية النوعية ، ع 8، 2018، ص: 138.139.

[2] يوسف فضل حسن : الشلوخ أصلها ووظيفتها في السودان ووادي النيل ، دار الخرطوم ، 1976 ، ص: 7.

[3] اكرم قانصو : التصوير الشعبي العربي ، عالم المعرفة، الكويت، 1995 ، ص: 40.

دينية عقدية؛ حيث في تعريف آخر للوشم يذكر أن" صحيح الوشم هو ما يزين به الريفيون أيديهم وصدورهم وشفاههم ووجوههم لكن لم يكن عبثًا ، بل يعود إلى التاريخ القديم عندما كان الناس يعيشون حياة بدائية يقدسون فيها بعض الحيوانات و يخشون من بعض المظاهر الطبيعية كالموج و الرياح و المطر و الرعد [1]".أي أنَّه يحمل دلالت عقائدية حيث يرتبط بالعبادات التي كان يؤَّديها الإنسان الأول وتقديسه للظواهر الطبيعة لاعتقاده أنَّها آلهة ذات قوى خارقة بعدما لم يجد لها تفسير، فظن أنَّ عبادتها هو الحل الأنسب لتفادي خطورتها وكسر حاجز الخوف ، فكان جسم الإنسان يحمل وشوم ورسوم ترمز لتلك الظواهر وعباداتهم ،وفي هذا يقول حسين عباسي : "إتخذته بعض الشعوب كقربان لفداء النفس أمام الآلهة كما كان الوشم تعويذة ضد الأرواح الشريرة ووقاية من أضرار السحر (...) كما استخدم الوشم لتحديد الانتماء القبلي و تمييز مجموعة بشرية معينة عن غيرها [2]" ,

تحمل عملية الوشم أغراضا أوسع و تبرز لنا طريقة تفكير الإنسان الأول ونظرته للأشياء و الكون يقول **wener sammon** :" الوشم يمثل نوع من الكتابة الدائمة لثباته على البشرة ...ليعبر عن فترة محددة من الحياة "[3] ، فهذه النقوش بمثابة وثائق عن العقلية البشرية ، ومن خلالها بمقدورنا فهم طريقة تفكير الإنسان الأول و التعرف على طرق تواصله، فالوشم من هذا الباب هو عملية تواصلية غير لغوية ووثائق تاريخية في شكل زخارف كما تقول **مارجريت ترويل** : " تعكس في الغالب تقاليد القبيلة ، وهو ليس مجرد شعارات و علامات اجتماعية لتحديد المركز الاجتماعي في القبيلة و إنما هي دروس هادفة و رسالات مرسومة بغاية روحية"[4].

فالوشم ليس مجرد زخارف و نقوش جميلة بل وثيقة حية تحكي عن عادات و معتقدات و طبيعة الانسان و طريقة تسجيل وجوده و تواصله مع محيطه ورؤيته للعالم ، و بالتالي هو نوع من أنواع الكتابة و بالتحديد على الجسد ؛حيث أنَّ" الكتابة (في معناها الواسع)هي كل نظام دلالي بصري

[1] ملود قدور بن عطية ، ظاهرة الوشم الانثوي (الرمز و الوظيفة ، قراءة انثروبولوجية) مجلة انثروبولوجيا ، مج 9 ، ع1 ، 2023. ص: 224.

[2] حسين عباسي : الوشم لدى قبائل افريقيا الوسطى ، ص 84.

[3] نقلا عن: ملود قدور بن عطية ، ظاهرة الوشم الانثوي ، ص: 224.

[4] سمية محمد عبد المجيد وآخرون : فن الوشم كمدخل لأثراء التصميم النسجي ، ص: 138.139.

أو فضائي"[1] ؛ أي تتجاوز سلطة الأحرف اللغوية المكتوبة و الصوت المسموع لتصبح نظامًا بصريًا دلاليًا خاصا .

يُعَّد الوشم عند بعض القبائل طقس من طقوس الاحتفال بالجسد عند انتقاله من مرحلة إلى مرحلة جديدة كالولادة مثلاً أو البلوغ و الزواج أو الموت؛ أي يعبر عن التحولات المهمة في حياة الفرد ، فيصبح بذلك الوشم رمز للعبور و علامة فارقة تعكس هوية الشخص داخل مجتمعه وخارجه فيصبح هذا الجسد فضاء خالصًا للكتابة المتحررة من القيود النظرية و المنهجية. "[2]

خلاصة القول الوشم هو فن شعبي هام وفقا لما يطرحه من رسومات جميلة تزيد الجسد زينة و جمالا وهذا هو الغرض الشائع له خاصة داخل الحلقات النسائية و لا يتوقف عند هذا الحذ بل يتضمن قيم اكثر عمقا و يشمل دلالات واسعة، حيث ان تلك العلامات الجميلة تمثل نوع من انواع الكتابة الهادفة فيصبح الجسد حينها صفحة تحمل خطابا ثقافيا و اجتماعيا يتشكل من مجموعة خطوط و اشكال هندسية كخطوط متوازية و نقاط او دوائر و مثلثات او رسوم لحيوانات و نباتات كزهرة او نخلة او غزالة .. او اشكال الطبيعية كالبرق و الشمس و النجوم...وغيرها و التي يستلهمها من محيطه او ثقافته الشعبية فيصنع المعنى من خلالها، وتصور لنا اعتقاداته وعاداته وممارساته و طقوسه الدينية كما تبرز لنا طريقة تفكيره و نظرته للعالم وفهمه للأشياء .

ويصبح الوشم نصا تعبير خالصا عن صاحبه و مجتمعه وكما انه وثيقة تاريخية لنا هو ايضا وثيقة تعريف لصاحب الوشم في مجتمعه و علامة تمييز بين القبائل اي انه: " عبارة عن وثيقة هوياتية و حضارية مكتوبة [3]" ، لذلك كان ضرورة ملحة بالنسبة للشعوب التي تفتقر الى وسيلة الكتابة فتصبح لهذه الاثار و العلامات اهمية فتمكن الاهالي و القبائل في التعرف على بعضهم البعض و تنقل العادات و التقاليد و الكثير من المعلومات المتوارثة الى الاجيال الجديدة كلغة شكلية و بالتالي هذه العلامات تحمل رصيدا من المعلومات حيث تمكن المرء من التمييز بين القبائل و الطوطم التي تنتمي اليه و المركز او الطبقة الاجتماعية التي تنتمي لها وغيرها من المعتقدات الدينية و الايديولوجية و

[1] محمد حلوس : انطولوجيا الوشم ، ص : 375.376.

[2] ساري وهيبة : الوشم التقليدي على الجسد الانثوي ، ص: 309.

[3] محمد حلوس : انطولوجيا الوشم ، ص : 375.

حتى احلامه ورغباته وغيرها من التفاصيل التي تخص صاحب الجسد الموشوم ، من هذا المنظور الوشم علامة سيميائية ذات ابعاد اجتماعية ثقافية وهو رمز له وظيفة تفاعلية و تواصلية دالة على الموشوم " فالمجتمع إذًا هو الذي ينحت رموزه و يطبع قوانينه في جسد أفراده ...وهذه العلامات عبارة عن جروح و ندبات يتعذر محوَها وهي تلعب دور الذاكرة الجماعية و تجعل كل فرد لا ينسى وضعه كفر ينتمي الى مجموعة ما ."[1]

2. **نشأة الوشم و تطوره :**

أظهرت الدراسات الأنثروبولوجية أن للوشم جذور ضاربة في عمق التاريخ، وقديم قدم الوجود البشري ذاته ، ارتبط بسلوكات و عادات جد بدئية ظهرت نتيجة تفاعل الإنسان مع الطبيعة أي خلاصة تجارب مواجهتهم لتلك الظواهر و القوى الغيبية ، فكان الوشم حينها ذا طابع بدائي قبلي، فالقبائل في تلك الأزمنة كانت تتخذ من الطوطمية totemisme ديانة لها حيث يرى بعض الباحثين: "أنَّ تلك الشعوب كانت تعيش حياة بدائية يقدسون فيها بعض الحيوانات خوفًا منها و يخشون بعض مظاهر الطبيعة كالموج و الرياح و المطر و الرعد ، فكانوا يصورون طوطمهم بشكل رمزي ويضعونه وشمًا على أجسامهم ولذلك ظهر الوشم في المجتمعات الطوطمية التي تتألف من قبائل و عشائر صغيرة لكل منها له طوطمه الخاص " [2].

و الطوطمية أو الطوطم يراد به بعض الحيوانات تتخذها الجماعة البشرة كآلهة تحميها أو صديقًا آمنًا لها فتحترمه و تقدسه و تؤدي طقوسا معينة لعبادتِه، فتجعل من رأسه طوطمًا تحتفل به و تصنعه شارة على بيوتها أو سيوفها أو وشمًا على صدور رجالها، و يمنع المساس به أو قتله أو أكل لحمه ، وقد يكون الطوطم نباتًا فيُمنع قطعه و أكله، و يعتبرونه من المنظور الديني أبًا للقبيلة و كلهم ينحدرون منه و أنَّهم من فصيلة واحدة و لكل جماعة طوطمية قصة خرافية عنه يتداولونها فيما بينهم و يتناقلونه أبًا عن جد يكون عن خوارق طوطمهم و كيف انتقل من الحيوانية إلى الإنسانية و القوى التي يتمتع بها ،و في ذلك يروي المؤرخ جورجي زيدان في كتابه (طبقات الأمم) عن: قبائل اليروكوا

[1] صوفية السحيري بن حتيرة : الجسد و المجتمع ، (دراسة انثروبولوجية لبعض الاعتقادات و التصورات حول الجسد)، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ص: 65

[2] بركات محمد مراد : فن الوشم .. رؤية انثروبولوجية نفسية ، مجلة الثقافة الشعبية ، ع 03. 2008 . ، البحرين ، ص: 68.

وهم من هنود أمريكا توجد قبيلة تعرف بقبيلة السلحفاة يعتقد أهلها أنَّهم متسلسلون من سلحفاة سمينة استثقلت صدفتها فألقتها على طهرها ثم تحولت إلى إنسان أولَد أولادًا"[1] فوجِد قبيلة الذئاب و الغزلان و الأسود و غيرها من الحيونات الطوطمية ،كانوا يقدسونها و يبجلونها من خلال اتخاذ سلوكاتها و التصرف مثلها، و أهم من ذلك اتخاذ رموز لها و رسمها على أجسادهم عن طريق الوشم لأنَّه كان طقس لا بد منه في تقديس الشعوب لطوطمها فعملية إسالة الدم أثناء دق الوشم ترتبط بفكرة القرابين التي يقدمها الفرد فداءً و تضحيةً لطوطمه، و خلق نوع من الروابط الروحية و الإمتزاج المادي و المعنوي.

إضافةً إلى ارتباط الوشم بالطوطمية ذهب البعض إلى أنَّ الوشم ظهر أساسًا كلباس أوجَده الإنسان عندما كان يبحث عن ما يغطي به جسمه، فيقول جورجي زيدان أنَّ :" الوشم يدل على ميل الإنسان إلى تغطية جسمه إما للكساء أو للزينة ، و بعض القبائل تتخذ الوشم وحده كساء ، و في بعض الكهوف بأروبا حفر استدلوا على أنَّها كانت أجرانًا يدقون بها المغرة وهي ضرب من الطين يمزجونه بالمواد الملونة ، و قد يقال أنَّهم إنَّما يريدون بذلك مجرد الزينة و لكن الحقيقة إنَّه يغنيهم عن الكساء"[2]، فبعض القبائل التي عَرفت عادة تلوين الجسم بالكامل تغطيَّة له وللحماية من البرد و الحر و لسعات الحشرات فكانوا يمزجون الطين بألوان نباتية و تكسي به جسدها حتى الرأس و تتفنن في تزيينه بخطوط طويلة توضع بجر الأصبع فوق الطين قبل أن تجف .

وجاد كل من علماء الأنثروبولوجيا و التاريخ و المهتمين بالدراسات الإنسانية صعوبة في تحديد تاريخ ظهور الوشم، و مع ذلك لا شك في ظهوره فترة عصور ما قبل الميلاد ؛ حيث عرفته المجموعات البشرية لأكثر من غرض فكان علاجًا وسحريًا و طبيًا و شعائريًا و طقوسيًا و دينيًا فقد ارتبطت بمجموعة من العقائد و العبادات و الديانات القديمة ، فكان معروف لدى(الصينيين واليابانيين و الهنود و الأفارقة و السومريين و الآشوريين و الأكاديين و البابليين و الكلدانيين و الفرس و الفراعنة المصريين و اليونانيين و الرومان ...)مما يعني أنَّه ظاهرة موغلة في القدم و حسب بعض الدراسات أنَّ تاريخه يعود إلى أكثر من خمسة ألف عام ،فقد عثر على رفاة رجل من العصر الجليدي

[1] جورجي زيدان : طبقات الأمم او السلائل البشرية ، مطبعة الهلال، مصر ،1912 ص: 50.

[2] المرجع نفسه، ص: 23.24.

يعتقد أنَّه يبلغ من العمر 5300 عام في النمسا و خلف إحدى ركبتيه وجد وشم على هيئة صليب صغير" [1]، و في دراسة أخرى يرجع إلى حوالي العصر الحجري الحديث ، حيث وُجِدت مومياء تعود إلى العصر النحاسي ؛أي حوالي 3400 قبل الميلاد ، تم العثور عليها في وادي (أوتز) في جبال الألب ، ظهر عليها ما يقارب 57 وشم كربوني تتكون من نقاط و خطوط بسيطة في العمود الفقري السفلي ، وخلف الركبة اليسرى و على الكاحل الأيمن ، و يعتقد بأنَّ هذه الوشوم كانت شكلاً من أشكال العلاج بسبب موضعهم الذي يشبه الوخز بالإبر هو نوع من أنواع الطب البديل " [2] . في حين أقدم رسم وشم عثر عليه في جسد الإنسان ترقى إلى حوالي 6000 قبل الميلاد وجدت في رسوم الكهوف في أوروبا [3]"، حيث تعد الكهوف الموطن الأول الذي وُجِد فيه الوشم و هي روسومات طوطمية إغريقية و التي كانت تدل على وجود مجموع قبائل تنتمي إلى طواطم معينة ، كما تم إكتشاف مومياء أخرى تحمل وشم يعود تاريخها إلى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد " مثل مومياء(آمونيت) في مصر القديمة، و مومياء (بازيريك) في هضبة اوكور" [4]

2 – 1 - الوشم في الحضارة الفرعونية:

يعود أول دليل لاستخدام الوشم في مصر إلى تماثيل العصر العتيق3100 قبل الميلاد ، ثم ظهر على المومياوات المحفوظة للسيدة (آمونت) التي كانت تشغل منصب كهنة الآلهة، إضافة إلى مومياواتين لراقصتين من البلاط الملكي و التي وجدت على واحدة منهما وشم لسلسلة من النقاط ، "كما ظهر أيضًا على مجموعة من المومياوات المسمات بعرائس الموتى، و التي ظهرت في عصر حضارة البدارى و تدفن مع المومياوات الذكرية و التي أصبح يشار إليها بعد ذلك بإسم المحظيات و أشكال الخصوبة"[5]، و أيضًا عُثِر على مومياوات مغطات بالوشوم ويؤكد علماء الأثار على أنَّها أفضل نموذج لمومياوات تنتمي إلى حضارة تنتمي إلى حضارة بادت قبل 1300عام تبرز علامات واضحة للوشم .

---

[1] ليث الخفاف : فن الوشم ووحدة الفولكلور العربي ،مجلة التراث الشعبي ، ع10 ، 1980بغداد ، العراق ص: 140.

[2] ايناس مهدي ابراهيم الصفار : تحولات القيم الجمالية في فن وشم جسد المراة ، مجلة دراسات العلوم الانسانية و الاجتماعية، مج 46. ع02 . مل 2. 2019. ص : 232.

[3] حسين عباسي : الوشم لدة قبائل افريقيا الوسطى (الذات و الموضوع) ،ص: 84.

[4] ايناس مهدي ابراهيم الصفار ، ص: 232.

[5] سهى محمود : الوشم في الحضارة المصرية القديمة ، مجلة دراسات في اثار الوطن العربي ، ع13. ص: 133 132..

يشير المهتمون بتاريخ مصر القديم أنَّ الفراعنة مارسوا الوشم في دياناتهم القديمة ، وأيضًا للزخرفة و التجميل ، وفي دراسة قدَّمها (كيمير kiemer) عن أثار للمومياوات راقصات من العهد الفرعوني "لاحظ الأجزاء التي بها وشم تطابق مكان وضع الحلي و الأحجبة" [1]؛أي استخدمته المرأة الفرعونية لغرض التجمل و عوض الحلي ، كما عُرِف الوشم عندهم كوسيلة للعلاج من العين الحاسدة و طرد الأرواح الشريرة و تفاديًا لما ينجم عن السحر ، و كان نوع من أنواع تقديم القرابين للآلهة عند بعض القبائل و كحاجب أو تعويذة تقِيهم من غضب الآلهة وبطشها.

اتخذ الوشم في الحضارة المصرية القديمة عدة صور و أشكال مختلفة من المرأة و الرجل وتنحصر الأشكال الأكثر شيوعًا في سلسلة من النقاط و الخطوط المنسجمة للحماية كأحجبة أيضًا رسم لبعض الحيوانات ، إذ اكتفى الرجال بوضع رسم طائر على الصدغ لحماية الرأس من الصداع ،أو شكل عقاب ويرجح أنَّه طائر الصقر لأَّن العقاب " من بقايا تقديس الصقر عند القدماء "[2]، أيضًا رسم العصفور لأنَّه كان يرمز في ثقافتهم للخير وكذلك وشم اسم الإله (يس) للحماية الروحية و الطبية الخاصة بالمرأة عند مراحل الحمل و الولادة ، و كان علامة زينة توضع على أفخاذ الراقصات و الموسيقيين و لاعبي الأكروبات للحماية من الإصابات التي تنجم عن اللعب أو الرقص، و قد استخدمه الأطباء حينها "كمرشد طبي حيث يقوم الفريق الطبي بقياس المسافة بين هذه العلامات أو النقاط ليحدد الوقت المتوقع لميلاد الطفل.[3]" حيث كانت المرأة لا بد من دق وشم تحت الشفة و على ظهر اليد و الرسغ ، و كانت إحدى علامات الجاذبية الجنسية التي تهم الرجال ، إضافة إلى أشكال أخرى كالنخلة و السمكة و كلاهما يرمز للخصب و الحياة و النسل .

2-2 -الوشم عند العرب الجاهليين:

عُرِفت المرأة العربية الجاهلية بزينة وشامها البارز على أماكن مختلفة من جسمها بطريقة فاتنة، و شُبِه بالنجوم المرصعة على صفحات السماء الصافية التي تُشْبه جسد المرأة ، فتغنى به الشعراء كزينة تفتخر بها المرأة الجاهلية و تتباهى بها ،يقول زهير ابن ابي سلمى :

---

[1] بركات محمد مراد : فن الوشم ررؤية انثروبولوجية نفسية ، ص: 69.

[2] سيد أحمد عبد الحكيم : التجليات ارمزية للوشم في المعتقد الشعبي ، ص 05.

[3] سهى محمود : الوشم في الحضارة المصرية القديمة ،ص : 133.

ديارلها بالرقمتين كأنَّها مراجع وشم في نواشر معصم

وفي قول طرفة بن العبد :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظهر اليد [1]"

وُيرجع الباحثون أصول الوشم العربي إلى الحضارة السومرية، حيث عُدَّ من أقدم العادات التي مارسها سكان دجلة و الفرات و المرأة السومرية أولى من تزينت بالوشم و يعود إلى الألف الخامسة قبل الميلاد إذ وجدت بعض التماثيل ملونة الأجزاء ببعض الصبغات ، ويستمد أغراضه و استخدماته الدينية من الحضارات التي قامت على ضفاف وادي الرافدين (السوميرية، و الآكادية،و البابلية،و الآشورية، والكلدانية، و الفرعونية...) لأنَّها عُرفت بعبادة القوى الطبيعية كضوء الشمس و نور القمر و النجوم ولمعة البرق و المطر ... إضافة إلى العبادات الطوطمية حيث قبل عبادة الأصنام كان العرب يقدسون بعض الحيوانات ،يقول جورجي زيدان :" كذلك العرب كانوا في أقدم أزمانهم من عبدة الطوطم... وأسماء قبائل العرب من أسماء الحيوانات كبني نمر و بني ثعلب و أسد و غيرها... خير دليل على ذلك"[2]، وقد كانت العرب في الجاهلية تقدس طير (الهامة) و يؤمنون بأنَّ لكل إنسان طيره الخاص يحيى بحياته و يموت بموته و إذا مات الإنسان ظلمًا و قتلاً يظل طير الهامة شريدًا باكيًا معولاً حتى يثأر لدم صاحبه ، وتذهب الأساطير إلى أن الهامة لا تستريح حتى تسقى من دم قاتل صاحبها و لهذا قال الشاعر (حتى تقول الهامة أسقوني..)"[3].

انتشرت ظاهرة الوشم في الثقافة الجاهلية عند المرأة أكثر من الرجل؛ لأنَّ الغرض منه الأول و الأساسي الزينة ، ففي الريف العراقي مثلاً :كان الرجل يطلب الوشم من زوجته لاعتقاده أن جسم المرأة الخالي من الوشوم لا يختلف عن جسده في شيء ، وقد كان الرجل العربي يَكِن الحب و الاحترام لذات الوشوم وقيل أنَّه" كان إذا ابتغى خطوبة فتاة يقدم لها مبلغا من المال مع النيشان و يسمى (حق الدك)وذلك لغرض تزيين الفتاة قبل الزواج "[4]، أيضًا كانت تضعه المرأة العربية مكان الحلي من أساور

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ص: 4838.

[2] جورجي زيدان : طبقات الامم ق ،ص: 52.

[3] ربكات محمد مراد : فن الوشم .. رؤية انثروبولوجية نفسية، ص: 68.

[4] ليث الخفاف: الوشم ووحدة الفلكلور العربي ، ص 188.

و خواتم ، كما ابدعت في نقش كفيها و أصابعها بالكركم و الحناء الذي يميل لونها إلى الحمرة ورسم وجهها وثغرها و ذهنها و عنقها و معصمها بنقاط و زهور زرقاء و أحيانًا خضراء ، وذكر البعض أيضًا أنَّها كانت تضعه لتبعد العين الحاسدة .

أما عند الرجال كان قليل و كان يوضع أساسًا لكثرة الغزوات بين القبائل فيتم دق الذراع برسوم عشائرية خاصة لسهولة التعرف على المصابين، ويعتقد البعض منهم أنَّ هذه الوشوم على الكتف الأيمن يزود الرجال بالقوة عند القتال و المبارزة بالسيوف فارتبط بالشجاعة و الأصالة و الانتماء ، أيضًا ساد وضع وشم في جانبي الرأس عند الشعور بالألم للعلاج و على الظهر و في مفاصل الأطراف لإيقاف آلام العمود الفقري و المفاصل و عمومًا ما زالت هذه الطرق العلاجية منتشرة في الأرياف العربية . وقيل أنَّ: "سادة العرب قبل الإسلام كانوا يَسِمون عبيدهم وجواريهم بشعار خاص بهم ما يعرف بتجارة الرق"[1].

تمثلت رموز الوشم عند العرب قبل الإسلام أكثر شيء في القمر، النجمة على الذقن وسنابل القمح على اليدين و زهور على الخدين و الدكة وهي دائرة في و سطها نقطة تقع على الخد، الشبيبة وهي أربع نقاط كل اثنتين منهما متقابلتين و يربط بينهما خط رفيع ، و شم المدين ، ووشم مخدة ابن العم تكون في الذراع اليمنى ، وشم دق القفل في الرجلين،وشم الحداري في الصدر ، الزنجيل[2]، وغيرهم و قد اضيفت لهم زخارف أخرى بمجيء الإسلام محاكية الرموز القرآنية كالسجدة والهلال.

2-3- الوشم في دول أوروبا:

عرفت الشعوب الأوروبية ظاهرة الوشم كغيرها من الأمم ووجدت له جذور تارخية طويلة ، لكنها معقدة لاختلاف العصور التي عرفتها المنطقة ، و"عرف أول الشيء عند الجرمان و قبائل السلت و الفايكينغ قبل الميلاد حيث كانوا مشهورين بالتوشيم أو التخديش و بوضع صباغ نبته الوسمة ذات اللون الأزرق الداكن أو ربما النحاس من أجل اللون الأزرق "[3] كجزء من هويتهم القبلية و الدينية و

[1] ايناس مهدي، إبراهيم الصفار: تحولات القيم الجمالية في فن وشم جسد المرأة ، ص : 233.

[2] اكرم قانصو، التصوير الشعبي، ص40.

[3] ايناس مهدي ابراهيم الصفار: تحولات القيم الجمالية في فن وشم جسد المرأة ، ص: 232.

كان رمزًا للقوة و الشجاعة خاصة بين المحاربين الذين مارسوا عملية الوشم أكثر من غيرهم متخذين من رموز الطبيعة علامات تغطي مسطحات شاسعة على أجسادهم.

ولكن في الحضارات الموالية أخذ الوشم شكلا مغايرا و أغراضا مختلفة، و انقسمت إلى ثلاث علامات تمثلت في علامة للعبيد و المجرمين و علامة للجنود و أخرى علامة رجال الدين المسيحيين ، فقد كانت اليونان تبصم علامة على العبيد كما تبصمها على الحيوانات وذُكر أنَّ " داريوس darius بصم بالحديد الساخن آلاف من السجناء الإغريق عام 440 ابان الحرب بين أثينا و ساموس و بصم سجناء المعسكرين: فوشم السجناء الأثنيون على جبهتهم و نقشت عليها سفينة حربية أما سجناء ساموس فقد نقشت على جبهتهم صورة بومة"[1] ، فكان الوشم عبارة عن وصمة عار للهاربين من العبيد و المجرمين و الجنود ،و عند الرومان نفس الشيء حيث كانوا يسمون المحكوم عليهم بالإعدام بأختام كبيرة كي لا يهربوا ، و كانوا أيضًا يسمون مقاتليهم برسوم حيوانات كبيرة ليتفاخروا بهم عند المبارزة القتالية لا أكثر ،و" كذلك كان الضباط الرومان يضعون وسم بإسم الإمبراطور و تاريخ تجنيدهم على ذراعهم اليمنى و على حد وصف فلوبير في وثائقه ساحة معركة أنتاريت antharite أنَّهم كانوا يتعرفوا على جنود أنطيوخس القدامى من وسم الصقر ، وأولئك الذين سبق لهم أن عملوا في مصر كانوا يحملون رأس قرد وحيات ، أما عند أمراء آسيا فكانوا يحملون فأسا و رمانا ومطرقة ، وأولئك الذين عملوا في الجمهوريات اليونانية ، كانوا يضعون صورة قلعة أو اسم أرخونت".[2]

و استمر الوشم على هذا النحو لزمن طويل مغلف بملابسات النبذ و الإقصاء و بصمة عار لا تدع لحاملها أدنى فرصة للنجاة، فهي تقصي الفرد من المجتمع المدني و تضعه في مأزق اجتماعي بين الحياة و الموت و تجعله محط أنظار الآخرين ؛ فهي طريقة للفت الانتباه إلى رجال أو نساء جُرِدوا من حقوقهم فنبذهم المجتمع.

ففي القرن الرابع عشر كانت السلطات الفرنسية تبصم على جبين المتسولين و المنحرفين المحكوم عليهم بالسجن علامة " m"بالحديد المتوهج و زهرة الزئبق للصوص و البغايا و الجنود الذين أساؤوا للقيادة العسكرية، إلاَّ أنَّ بعض من أصحاب الطبقة المهمشة اتخذ الوشم تمردًا على المجتمع

[1] نقلا عن: دايفد لوبروتون : علامات الهوية، تر: عبد السلام بن عبد العالي، ص: 35.

[2] المرجع نفسه ، ص : 35.

رغم ما لصق به من وصمات العار، وأصبح حينها الوشم علامة أو كتابة ساخطة على المجتمع و مبادئه و أعرافه للتخلص من هيمنة الجماعة و الخروج على قوانينها وقيودها[1].

2-4- الوشم في افريقيا :

لقد برع الأفارقة في فنون زخرفة و تزيين الجسم منذ القدم، وعرف للوشم أشكالا و أنواعا مختلفة، وبأسماء عديدة، حيث أن معظم سكان افريقيا يقطنون مناطق حارة فيعرضون جزء كبير من أجسادهم المغطاة برسومات ذات ألوان جميلة وبدقة احترافية لأنهم يمارسونه بجدية كما لو أن الجسد تحفة فنية، و هذا لضرورة الوشم عندهم فهو جزء لا يتجزأ من الجسد. و الوشم في افريقيا ظاهرة قديمة جدًا، إلا أنَّ بعض الآراء ترجح "ظهور الوشم مع الهرجة العربية أو بالأصح الهلالية ، في حين آراء أخرى تربطه بالغزو الروماني للساحل الافريقي تأثرًا بالمسيحية التي سرعان ما انتشرت بين السكان الأصليين و اخذوا يضعون علامة الصليب على جباههم و أذرعهم، في حين عثرت الأبحاث على أقنعة طينية تحمل رسومات لرجال و نساء يضعون على أجسادهم وشومًا مختلفة الأشكال كالهلال و الخطوط العمودية و الدوائر تتركز في وجوههم " [2] ، تعود إلى عهد حنبعل أي أيام القرطاجيين . حيث مارسته المرأة القرطاجية لأغراض عديدة من بينها الزينة و كانت النساء أكثر ممارسة له من الرجال، و أيضًا كان ذا أبعاد روحية، حيث كانت تشير علاماته إلى رموز إلهية تقوم بدور حماية حاملها من الأرواح الشريرة، حيث ذكرت المصادر التاريخية أن الوشم في العهد القرطاجي" اختصت به الكاهنات بتجسيده في أجواء طقوسية مفعمة بالدلالات الروحية بهدف استجلاب نعم الآلهة (تانيت) و رضاها و اتقاء نقمتها وغضبها " [3].

يختلف الوشم في افريقيا باختلاف المناطق و ساكنيها ، فمثلاً الكتابات الجسدية في دول شمال افريقيا ليست هي نفسها في دول الجنوب وقد يكون بسبب أصل سكان المنطقتين ، حيث تمركزت القبائل الأمازيغية على الساحل الافريقي و عرفت الوشم منذ القدم و مازال متواجد إلى يومنا لدى

---

[1] ينظر: دايفد لوبرتون ، علامات الهوية، تر: عبد السلام بن عبد العالي،ص 40.

[2] مولود قدور بن عطية : ظاهرة الوشم الانثوي : الرمز و الوظيفة قراءة انثروبولوجية ، ص : 225.

[3] راشي نجوى : الوشم في بلاد المغرب القديم بين الرمزية و الطقوسية ، مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية ، مج14.ع 1. 2024 ،ص: 164.

كبار السن في أرياف الجزائر و تونس و المغرب لكن بنسبة قليلة، حيث عرفت تراجعًا كبير منذ السبعينيات . وقد كانت المرأة الأمازيغية تتزين بالوشم بحيث تخصب جسمها بالأصباغ و الألوان من خلال وخزات الإبر، كما يزين وجه العروس برموز تستمد عناصرها الزخرفية من الكتابات البربرية القديمة و التي " انتقلت إليهم عبر الحضارة وادي النيل من الثقافات الآشورية و الكلدانية في وادي الرافدين كالشمس و القمر و النجوم "[1].

و كان الوشم منتشرًا في الثقافة التقليدية الجزائرية بين النساء و الرجال منذ القديم، حيث وجدت له علامات على الفن الصخري في الصحراء الجزائرية مثلاً في :" التاسلي و اكاكوس الذين وجدا فيهما رسومات جدارية لأجساد من الذكور و النساء يوسمون أبدانهم بأشكال عديدة سواء هندسية أو نقاط بيضاء وهي توحي بدلالات رمزية أو طقوسية مختلفة "[2]

عرفت أيضًا الشعوب الليبية القديمة ظاهرة الوشم حيث عثر على نصوص مصرية قديمة تدل على أنَّ القبائل الليبية القديمة "كانت تهتم بالوشم حيث ظهروا و كأنَّهم شبه عراة إلا بعض الأجزاء من الجسم يتم تغطيتها بقطع من الجلد أو القماش أو لباسهم للباس الجلابيب أما الباقي من أجسادهم فيوشمونه بأشكال مختلفة تحمل دلالات دينية أو يزينونه بأصباغ معينة "[3]، إلا أن هذه العلامات اقتصرت على رجال الدين و زعماء القبائل و التي تدل على أن أصاحبها من أصل نبيل و ذو مكانة رفيعة في قبيلته و بالمقابل إن لم توضع فيعني انحطاط أصله.

في حين وردت بعض الإشارات التاريخية حول استخدام الوشم عند المرأة الليبية المحاربة و أظهرهن كأم أو كمحاربة تشارك في قرع طبول الحرب و تشجيع الجند أو تجهيزه إلى المشاركة في المعارك و حفر الخنادق أو نصب الخيام للجند و الاعتناء بالخيل و الإبل ."[4]، و العلامات التي أظهرتها نقوش النصوص المصرية كانت بسيطة كالشمس و الصليب و التي تدل على الديانات الوثنية الأولى التي كان يقدسها سكان المنطقة كعبادة الشمس و غيرها.

---

[1] ليث الخفاف: الوشم ووحدة الفلكلور العربي، ص 184.

[2] راشي نجوى : الوشم في بلاد المغرب القديم بين الرمزية و الطقوسية، ص: 160.

[3] المرجع نفسه، ص: 162.

[4] راجي نشوى : الوشم في بلاد المغرب القديم بين الرمزية و الطقوسية ،ص: 164.

وأغلب أشكال الوشم في دول شمال افريقيا تعود إلى حروف التيفيناغ الأمازيغية ، بالإضافة إلى بعض رسوم الحيوانات و النباتات كأوراق الزيتون و سنبلة القمح ، و أكثر شيء اشتهرت " الطرشانة وهي ضد اصابة العين وهي مؤلفة من خمس نقاط توشم ظهر اليد ، أيضًا السلسة وهي للحماية من الخيانة الزوجية و هي مجموعة معينات توشم على الأصابع ، و كذلك خاتم سليمان و الذي يوشم على أصبع اليد بشكل خاتم ، و تسنيدة فاطمة الزهراء توشم بها الذقن " [1]، وأيضًا اشتهرت "بنقوش الحناء التي تُعَّد من أهم الطقوس الاجتماعية في المناسبات و الاحتفالات كالزواج و الختان و الأعياد و الولادة فهي تمثل طقس من طقوس الانتقال من مرحلة عمرية إلى أخرى أو من حالة إلى حالة و حتى كانت تستعمل في الطقوس الجنائزية فقد تستعمل لإخفاء الوشم " [2]

أما الوشم في باقي الأقطار الإفريقية فقد اتخذ أشكالا و رسوما مختلفة خاصة عرفوا بها أصحاب البشرة السوداء دون غيرهم لأنَّها تتميز بالخشونة و الصلابة فتتحمل درجات عالية من الألم ما يشعرهم بالقوة الذاتية ويذهب الاعتقاد بأنَّه يتمتع بقوى سحرية تساعده على ذلك، و يُعَّد الوشم زينة أساسية لدى الإنسان الافريقي مكملة لملبسه و في بعض الأحيان يكون عوض الحلي عند كل من الرجل و النساء ، وقد ارتبط أساسًا بممارسة السحر و الطلاسم التي اشتهرت بها القارة حيث يلجأ للسحر عند وضع الوشوم لإكساب الجسم طبيعة سحرية روحانية تقيه من ما يحيطه من شرور ، مع استخدم أدوات حادة لتشريط الجلد و إحداث جروح عميقة و أغلبها لا تلون إذ تظهر أساسًا دون الحاجة للألوان فتظهر على شكل خطوط محفورة في الجلد ، و يعود إلى طبيعة البشرة السوداء التي لا تظهر عليها الألوان بشكل واضح مثل ما يكون في البشرة البيضاء ،و القائم على عملية التشريط ساحر القبيلة وهو نفسه طبيبها و الذي كان يضع الوشم في بعض الأحيان لعلاج بعض الأمراض و الآلام، فيعتقد أفراد القبيلة أن الوشم هو درع واق ضد الأمراض و طارد للشياطين و الأرواح الشريرة التي تكون سبب ألم الإنسان و ضعفه الجسدي، فكانوا يسمون (عنتر القبيلة) بوشوم خاصة تكسبه قدرات سحرية و من يستطيع أن يهزمه و يقتله من القبيلة أو من القبائل الاخرى ، فيستحق نيل ذلك

[1] اكرم قانصو : التصوير الشعبي العربي ،ص: 41.

[2] صوفية السحيري بن حسيرة . الجسد والمجتمع، ص 220.221.

الوسم ،أما بالنسبة لفتياتهم و زوجاتهم ، فكان الوسم يغطي مساحة كبيرة من خدودهن و جباههن ، كي لا تخطفن في الصغر [1]، أي أنَّه بمثابة علامة للقوة و الحماية عندكل من الكبار و الصغار.

يعد فن التشريط عند الأفارقة عموما من أكثر أدوات الزينة ذيوعًا و من الأسباب الشائعة لممارسة هذه العادة لتمييز القبائل بعضها البعض أيضًا للوقاية من الأمراض و العلاج من آلام الرأس و الأسنان حيث يشرط مكان الآلام و يدهن بمواد ذات خصائص سحرية و كذلك لطرد الأرواح الشريرة ، و يسود الاعتقاد بأن الوشوم تكسب صاحبها مناعة و قوة جسدية سحرية ،كذلك للتعبير عن انتقال أو عبور مرحلة مهمة في حياة الفرد مثلاً: "في غينيا يستخدم الوشم عند انتقال الولد من مرحلة الصبا إلى مرحلة الرجولة كغيرهم من الشعوب الافريقية او غيرها الا انهم يعتبرون تلك العلامات اثرا لأسنان الالهة التي عضت الموشومين ليصبحوا رجالاً " [2].

3 -**الوشم و الدين :**

ارتبط ظهور الوشم عند أغلب الشعوب القديمة بالعبادات الطوطمية والوثنية، إذ تُعَّد عملية اسالة دم الوشم طقسا من طقوس تقديم القرابين للآلهة و التضحية و فداء النفس، وتعتقد هذه الشعوب أن الوشم يحدث ارتباطا بين الذات البشرية و الذات الإلهية ، و إلى جانب عبادته و تقديسه و منع المساس به أو أكله و محاولة تقمص أفعاله مثلما سبق و أشرنا ، كذلك يرسم رمز الآلهة على جسده ليحدث ذلك الارتباط ولا يزال سائدًا في بعض الدول التي تتخذ الديانة الهندوسية دينًا لها مثلاً. في حين المجتمعات "التي طبعتها ديانات الكتاب يحظر الوشم كما تحظر العلامات الجسدية الأخرى"[3]، فديانات الكتاب أو العبادات التوحيدية التي أتت فيما بعد كانت لها نظرة مختلفة للوشم .

3-1 ـ الديانة اليهودية و المسيحية:

ورد أنَّ كل من كتاب التوراة و الإنجيل منع الوشم وعارض كل من يضعونه مهما كان السبب أو الغرض منه، حيث تقرر دائرة معارف التوراة و الإنجيل العبرية :" أنه لا يوجد مثال واضح على

[1] ينظر: ايناس مهدي إبراهيم الصفار : تحولات القيم الجمالية في فن وشم جسد المرأة ، ص: 233.

[2] صوفية سحري بن حسيرة ، الجسد و المجتمع ،ص 220.

[3] دايفد لوبرتون : علامات الهوية (وشوم وثقوب وامرات جسدية، تر: عبد السلام بن عبد العالي، ص: 29.

استعمال الوشم كعادة دينية بشكل ثابت في العهد اليهودي القديم " [1]، إلاَّ أنها ظهرت على اجساد بعض اليهود علامة الإله (ديونيسوس) و التي طبعت قصد حمايتهم من هجمات المعتدين اليونان ، لأن من يحمل هذا الرمز يعد من اليونانيين و لا يصيبوه بضر .

و قد أصبحت عادة ممارسة الوشم معروفة عند اليهود بشكل عادي، حيث يكتب اسم إله إسرائيل على جلودهم رغم أن التوراة منعت الوشم وحكماء التلموذ أقرو بأنَّها عادة شنيعة، و الأمر نفسه عند المسيحيين حيث يستدل دايفد لوبرتون في كتابه علامات الهوية بما ورد في "سفر اللاويين 28.19((لا تجعلوا خدوشا في ابدانكم حدادا على ميت ، و لا كتابة وشم عليها)) ،و يردد سفر التثنية التوصية نفسها المتعلقة بالخدوش : الاصحاح 14.1((انتم ابناء الرب الهكم ، فلا تخدشوا اجسادكم حزنا على ميت ، و لا تجرحوا ما بين عيونكم)) "[2] .

و بالتالي تعبّر الكتب المقدسة بصريح العبارة عن تحريمها ورفضها للوشم و لأي تدخل بشري في تغيير جسد الإنسان ، إلا أن الكنيسة المسيحية لم تعارض الوشم في بداية الأمر فتداول المسيحيون الأوائل على بشرتهم رسم علامات اعتراف : كالصليب وحرف من اسم المسيح كنوع من التقديس و العبادة بحجة أن" في وصف للقديس يوحنا لرؤياه الكلمة الالهية ان اسم ملك الملوك و اله الالهة قد سطر على صدر السيد المسيح ووركه "[3]،وتم تفسيرها أن تلك العلامة من صنع الله و الرب وحده له الفضل في أن يغير من جسد الإنسان ،ووحده له الحق في ختم أو وشم عباده بعلامة للحماية وهذه العلامة تسمى بختم الروح أو المعمودية ؛أي ينبغي للجسد أن يبقى كما خلقه الله ، من غير أي إضافة بشرية ، ولعل هذا هو السبب من تحريم كل من التوراة و الإنجيل للوشم حيث فسرت دائرة معارف التوراة و الإنجيل العبرية تحريم الوشم و ما يشابهه بأنه "قد يسبب عاهة أو يحدث تشويها في الجسم تكون نتيجته اهانة لكمال اسرائيل و قدسيتها " [4] ، فعلى حد تعبيرهم الإيمان هو أساس عبادة الإله و الأخذ بأوامره لكنه لا يتوقف على الخضوع وحده و إنما أيضًا لخَلقه الذي ليس

[1] يوسف فضل حسن ، الشلوخ اصلها ووظيفتها في السودان ووادي النيل، ص 21.

[2] دايفد لوبروتون ،علامات الهوية، تر: عبد السلام بن عبد العالي، ص30

[3] يوسف فضل حسن : الشلوخ اصلها ، ووظيفتها في السودان ووادي النيل، ص: 21.

[4] المرجع نفسه، ص: 21.

في حاجة إلى زيادة أو نقصان ، لذا فإن ادخال تغييرات على شكل الجسد خلافاً للنص الديني ، سيكون من قبيل المساس بالخلق الإلهي ،إضافة إلى أن الوشم كان من العادات و العبادات الوثنية لأن على حد قول دايفد لوبروتون أنه سنة 313 م تم منع وضع علامات على الوجه التي تكون على شكل صورة الله ، و أيضًا إحتج مجمع قلقوة الديني سنة 787م ضد الاستخدام التقليدي للوشم عند البيكتس و كلاهما لسبب واحد هو أن الكنيسة تحارب أشكال الوثنية القديمة التي ما تزال حية ، يعني من الممكن أن يكون الوشم مباحًا عند الرب ، إلا أنه لا ينبغي أن يحمل أي دلالة وثنية .[1]

ومع ذلك ظل الوشم متداولاً بين اليهود و المسيحيين خاصة؛ حيث شهد تناقضًا بين السلبية والايجابية فمرة كان كما سبق وذكرنا وصمة عار للمهمشين وسط المجتمعات الأوروبية و علامة للانحراف و الشذوذ العقدي و الاجتماعي وظلت هذه الوصمة لسيقة به لمدة طويلة ، و مرة كان غرض هام ذا فائدة حيث عمد بعض المسيحيين إلى وضع علامة الصليب كدليل على انتمائهم و ليتعرفوا على بعضهم البعض أثناء الحروب ، وأيضًا ليستفيدوا من دفن مسيحي إذا تعرضوا للموت حيث يذكر أن في " عهد الاسكندر الثاني (705.730) ، وسمت اليد اليسرى لكل راهب قبطي بخاتم محمى على النار يحمل اسم الكنيسة و الدير الذي ينتمي اليه الراهب و تاريخ السنة الهجرية حتى يسهل التعرف عليه (و يزعم ان هذا الاجراء كان نتيجة لاحد موجات الاضطهاد التي تعرض لها الاقباط على يد بعض المتعصبيين المسلمين)"[2]، و حتى في أوج الحروب الصليبية ، المسيحيون كانوا يرسمون علامة الصليب على جباههم كي يتعرفوا إلى بعضهم البعض.

2-3 ـ الدين الإسلامي:

لم تَرِد في القرآن الكريم أي آية تتحدث عن موقف الإسلام من ظاهرة الوشم ، و مع ذلك حثَّ المسلمون على منع الوشم و تحريمه من خلال الأحاديث النبوية و تفاسير علماء الدين للقرآن الكريم، وتحريمه قياسًا لبعض الظواهر المماثلة للوشم ، جاء في حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صحيح البخاري :" أخبرنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة ، عن عبد الله ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله : لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ و المُتَشِمَاتِ و المُتَنَمِصَاتِ و المُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ

[1] ينظر: دايفد لوبرتون ، علامات الهوية، تر: عبد السلام بن عبد العالي، ص: 30.

[2] يوسف فضل حسن ، الشلوخ اصلها ووظيفتها في السودان ووادي النيل ، ص 20.

، المُغَيِّرَاتِ خَلْقِ اللهِ (5943)"[1] ، الوشم محرم بدلالة اللعن حيث لعن كل من الواشمة و المتشمة ، فالواشمة هي التي تفعل الوشم بنفسها و المتشمة هي التي تطلب من غيرها أن يضع لها الوشم ؛ أي أنه كبيرة من كبائر الذنوب ، لمساسه بخلق الله سبحانه و تعالى و التغيير فيه وعدم رضى الإنسان بما أنعم الله عليه ورزقه.

كذلك حرم بعض علماء الدين الوشم لأنه نجاسة و لا تجوز الصلاة به يقول في ذلك محمد عثمان بشير : قال الشافعي : "أن الموضع الموشوم يصير نجسا بانحباس الدم فيه ، فيجب ازالته لان الصلات لا تصح من حامل النجاسة "[2]، إضافة إلى كون مواد الرسم أو الأصباغ التي تحقن تحت الجلد تصبح عازلة بحيث تمنع وصول الماء للجلد عند الوضوء أو الغسل للتطهر، ولذا وجب ازالة الوشم إن امكن لأن عملية ازالة الوشم أكثر صعوبة وخطورة من عملية الوشم ذاتها، قد يترتب عنها تشوه في العضو الموشوم و تلف الجلد و الإصابة بالتهاب ينتج عنه أمراض جلدية أخرى قد تصل حد البتر و في هذا يقول الأئمة و الفقهاء من رجال الدين" إذا فعله المسلم في حال جهله بالتحريم ، او عمل به الوشم في حال صغره ، فانه يلزمه ازالته بعد علمه بالتحريم ن لكن اذا كان في ازالته مشقة او مضرة فانه يكفيه التوبة و الاستغفار و لا يضره بقاؤه في جسمه "[3] ، خاصة أن الكثيرون تم وضع لهم الوشم و هم صغار لا يدركون من معناه شيء و عند الكبر و معرفته بتحريمه يجد صعوبة في ازالة تلك الوشوم وكلما طال عمر الوشم أصبح من الصعب ازالته و الحل الوحيد هو إحداث جرح جديد أو تشويه مكان الجرح ، و في هذه الحالة يقع الإثم على من فعله .

ومن هنا يبرز سبب آخر لتحريم الوشم هو أنَّه يلحق الضر بالجسم عند وضعه و عند ازالته، و كذلك ايلام و تعذيب جسم الإنسان بلا حاجة و لا ضرورة و قد استدل أصحاب هذه الحجة قياسًا بقوله عز وجل (وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَ لَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُواْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المحْسِنِينَ) (سورة البقرة، اية 195). حيث يحثنا الله فيها على عدم ارتكاب أو ممارسة ما قد يضرنا و يؤذينا ، و في

[1] اسماعيل ابن ابراهيم الجعفي البخاري : صحيح البخاري ، مج1 ، جمعية البشرى الخيرية للخدمات الانسانية و التعليمية ، 2016م ص 2655.

[2] محمد فنخوري العبدلي ، الكلام الموشوم في بيان حكم الوشوم ، ص:25.

[3] المرجع نفسه، ص25..

موضع آخر قال تعالى: (يآ أَيُّهَا الذِين آمَنُوا لاَّ تَأْكُلُوا أَمْوَالَّكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إِلاَّ إِنْ تَكُونَ تِجارَة عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ولاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ الله كَانَ بِكُم رَحِيمَا) (سورة النساء اية 29)، و قتل النفس هنا ليس بالمعنى القتل و إنما بمعنى الضر و الهلاك أو ما تؤدي إلى القتل .

و للوشم اضرار على جسم الإنسان إضافة إلى الألم و التعذيب الذي يحدثه عند وضعه و في فترة إلتئام الجرح و عند نزعه، حيث تصيب الإنسان بعد عملية الوشم وخاصة التقليدية أمراضا و حمى و غيرها من التهاب الجرح كما أنه يستغرق وقت طويل للشفاء ، وقد ثبت عن أهل الخبرة في الطب أن الوشم يسبب بعض الأمراض مثل سرطان الجلد و الحساسية و التسمم الجلدي، حيث ذكر أحد استشاري الأمراض الجلدية "أن الوشم له تأثير سلبي على المخ و الجهاز العصبي للإنسان و يؤكد أن الوشم يؤدي إلى إتلاف الجلد و الأنسجة الموجودة تحته كما يفعل الحرق و يولّد ندوباً و أليافًا مما يشوه الجلد و يؤدي لاضطرابات نفسية ، ويفتح مسام الجلد للفيروسات و الجراثيم لتخترق الجسم في أي وقت " [1].

وقد حذرت بعض الدول الأوروبية من أن صبغات الوشم تحتوي على مواد كماوية ضارة فغالبًا تكون مصنوعة من طلاء السيارات و أحبار الكتابة، إضافة إلى ذلك عدم تعقيم الإبر و الأجهزة التي تتم بها عملية الوشم مما تساهم في انتقال عدوى الأمراض و الفيروسات مما ينتج عنها التهابات جلدية و أمراض لا حصر لها . ويوجد من أجاز الوشم وهي قلة قليلة حيث استدلوا بحديث قيس بن ابي حازم ، قال : " دخلنا على ابي بكر رضي الله عنه في مرضه فراينا امرأة بيضاء موشومة اليدين تذب عنه وهي اسماء بنت عميس"[2]، وراح البعض للقول ربما ما كان على يديها قد تم قبل النهي أو قبل معرفتها به أي فعل لها و تعسرت ازالته فاستمر في يديها ،و آخرون رأوا احتمال أن يكون ما على يديها خضاب أو حناء أو ربما للتداوي ؛ حيث أن الوشم ينقسم إلى نوعين و شم دائم وهو تلك العلامات التي لا تمحى أبدًا و يتمثل في (الطريقة التقليدية القديمة ، وهي غرز الإبر بالجلد و إسالة الدم ثم حشي المكان كحلاً أو مادة صبغية ،واستعمال مواد كيميائية أو القيام بعمليات جراحية تغير لون الجلد كله، و الوشم التي قد تطول مدته إلى سنة) أما النوع الثاني فهو الوشم المؤقت و الذي يزول

[1] المرجع السابق، ص: 7.8

[2] أحمد محمد و اخرون: الوشم و احكامه في الاسلام، مجلة الفقه، ع 14. 2017، ص، 113.

بعد أيام و يتمثل في الحناء وغيرها ، و يختلف حكم الوشم باختلاف نوعه و مدته فمن الضروري معرفة أقسامه للحكم عليه لأن الله قد أحل لنا الزينة لكن في حدود المعقول فيوجد فرق بين الزينة الدائمة و المؤقتة "فالأولى محرمة و هي من تغيير خلق الله تعالى، و الثانية مباحة وهي من التزيين المباح"[1]، و بالتالي الرسم على الجلد دون الطريقة السابقة ووفق الضوابط الشرعية هو جائز ، كما تم جواز الوشم في سبيل تعديل العيوب التي نتجت إثر الحوادث كالحرق و غيره عندما يتلف جزء من مكان معين في الجسد كالحواجب يمكن الاستعانة بالوشم لتغطية التلف ، كما حرم من ان تكون هذه العلامات رسوم لذوات الأرواح كالحيوانات و غيرها حتى لا يقع الشرك ، و عند المرأة يشترط أن لا تظهر هذه الزينة لغير زوجها في حق المرأة أمنًا و صونًا لها "[2].

لقد شهد الوشم تراجعًا داخل المجتمعات العربية بعد مجيء الإسلام بسبب موقفه منه ، وأيضًا لوعي الإنسان العربي ورفضه كل ما هو مرتبط بالسحر و الشعوذة ، مع ذلك لم يتمكن الإسلام من القضاء على جاذبية الوشم بشكل تام بالخصوص عند سكان البادية و المجتمعات الريفية التي ضلت متمسكة بعاداتها و اعتقاداتها المتوارثة أبًا عن جد ، فوق كل ذلك أُدخلت على الوشم وحدات هندسية و زخرفية جديدة كالنجمة و الهلال و رموز ذات طابع اسلامي حتى بعضها إستنبط من المصحف ، و مع ذلك كان محصورا في القرى، و كان يوضع بنية الزينة في أغلب الأحيان لا لطقس و عبادات وثنية كما كان أيام نشأته .

وفي الأخير يمكن القول بأن هناك اختلاف في طبيعة الوشوم باختلاف المجتمعات و طبيعة البيئة التي ظهر فيها فعرف العديد من الأنواع منها وشم الزينة، و الوشم السحري العلاجي ، الوشم القبلي .. بمسميات أخرى كالشلوخ عند الأفارقة و الوسم أو ختم النار عند اليونان و الرومان و الدق عند قدماء العرب و التاتو في عصرنا بعدما اكتسى حلة جديدة ،و تعدد التسميات راجع لتعدد الاستخدامات و اختلاف طريقة الممارسة ،و الوشم في العموم هي تلك العلامات التي تعلَّم على الجسد فتترك أثراً على الجلد و بالتالي يشمل الرسوم التي تدق بالإبر و الألوان و الأشرطة التي تحفر بسكين و الختم بالنار و التلوين الجلدي بأصباغ مختلفة كالخضاب حيث كُثْرة استخدام هذه الصبغات قد

[1] المرجع السابق، ص، 104.

[2] المرجع نفسه، ص، 106.

تغير لون البشرة مع الزمن ، كذلك اعتبرت ثقوب الحلي و غيرها نوع من أنواع الوشم لأنها علامات عند بعض الشعوب التي اعتبرت حتى الختان و ما شابهه من أنواع حذف الجسم أو قطعه وشماً ، ولهذه العلامات دلالات رمزية تتجاوز غرض الزينة الشائع إلى أغراض أخرى كالهوية أو التحديد القبلي، العلاج من بعض الأمراض و صد أضرار العين و الحسد ، وكان طقس مهم للعبادات الوثنية ، و كذا طقس عبور و انتقال من الطفولة إلى الرشد و من العزوبية إلى الزواج و العبور إلى الموت أو ما يعرف عند القدماء العبور إلى الحياة المقدسة التي تكون ما بعد الموت ، و اتخذ طابعًا سحرياً ليضمن الإنسان لنفسه الأمان و الحماية ، و بالتالي كان للوشم أهمية كبيرة وسط هذه المجتمعات و ضرورة لا بد منها في حياتهم اليومية ، فلازلنا نلمح اليوم أثاره في الأرياف و القرى و عند الجدات و أصحاب التفكير العقدي رغم تحريم الكتب السماوية له ، و نتيجة العصرنة أصبح للوشم وجهان وشم تقليدي ووشم عصري .

الفصل الثاني: دلالات الوشم الأنثوي في منطقة قالمة

تمهيد:

أولا. دلالات الوشم الأنثوي في منطقة قالمة:

1-البعد الجمالي :

2- البعد العلاجي:

3- بعد التطهير:

4-البعد السحري:

5-البعد الانتروبولوجي :

6-البعد الهوياتي :

7-البعد الاجتماعي:

8-البعد النفسي:

تمهيد :

عرف المجتمع الجزائري ظاهرة الوشم كممارسة طقوسية عريقة، وشكل من أشكال التعبير الجسدي مثله مثل باقي المجتمعات؛ حيث اعتمدت عليه القبائل الأمازيغية على-وجه التحديد– لكتابة تاريخها ومعتقداتها وثقافتها...؛ وبالتالي يُعَدُ علامة من علامات تجسيد الهوية الأمازيغية والانتماء القبلي الجزائري، وذلك من خلال رسم رموز و أشكال على الجلد باستخدام أدوات بدائية وأصباغ طبيعية، محملة بمدلولات ثقافية ودينية وأخرى اجتماعية تختلف عن باقي الثقافات، وقد انتشر لأغراض عدة منها: الجمالية ،والطقوسية، والرمزية، وأخرى للقوة والشجاعة وحماية الشخص من الأرواح الشريرة ، فكان تقليداً متوارثاً تناقلته المرأة الأمازيغية جيلاً بعد جيل؛ حيث لم يكتف الإنسان بجماله الطبيعي وراح يعمل على جلب الزينة بطرق مختلفة، إلا أن عبء التزين وقع على الأنثى أكثر من الرجل ولذلك ارتبط الوشم بالمرأة كوسيلة للحسن والجمال، أخذت تنقش رسومات تعبيرية على أجزاء مختلفة من جسدها كالوجه واليدين...

لم يبق الوشم حكراً على الأمازيغ فقط بل انتشرت هذه الظاهرة في باقي البقاع الجزائرية بأساليب وأشكال مختلفة، ويعود هذا الاختلاف إلى عادات ومعتقدات سكان المنطقة وتضاريسها، وقد خصصنا هذه الدراسة للبحث والتقصي عن الوشم الأنثوي في منطقة قالمة أحد مدن شمال شرق الجزائر، وهي منطقة ريفية تقليدية تتميز بثرواتها الطبيعية وأراضيها الفلاحية الخصبة والرعوية؛ حيث تعتمد على زراعة القمح والزيتون والكروم اضافة إلى تربية المواشي ، ما جعلها منطقة جذب واستقطاب انساني منذ القدم ،فشهدت تواتر العديد من الحضارات فكان لها تاريخ وثقافة خاصة بها كما كانت شاهداً على مجازر الاحتلال الفرنسي، ويتنوع سكانها حيث ينحدرون من أصول أمازيغية و عربية ما قد يؤدي إلى تلاحم ثقافة المنطقة مع باقي الثقافات.

ومن خلال البحث في كافة أرجاء المنطقة تمكنا من الحصول على بعض معالم الوشم التقليدي الأنثوي وإن كان قليلا نوعاً، ما وذاهب في الزوال، حيث لايزال متواجدا في المناطق الجبلية والقرى النائية فقط، بالأخص عند كبار السن كأغلب شيء، إلا أن هذا لا ينفي وجود الوشم عند

النساء متوسطات العمر وعند الفتيات كحالات نادرة وقد تنوعت أشكال الوشم في أعالي قالمة بين رسوم هندسية، وأخرى نباتية وحيوانية ذات دلالات وأبعاد عديدة و مختلفة منها: البعد الجمالي، والعلاجي ، والسحري ، والاجتماعي، والنفسي ، والهوياتي...وبالرغم من تراجع هذه الظاهرة وممارستها لكنها لا تزال تشكل عنصراً مهماً في دراسة الهوية الثقافية للجزائريين.

كان الوشم عنصراً مهماً من عناصر ثقافة المرأة في منطقة قالمة، وجزء لا يتجزأ من حياتها اليومية؛ لأنَّه يدخل في الكثير من المجالات على اختلافها، وكانت أغلب الوشوم عبارة عن أشكال هندسية تمثلت في: الخطوط، والدوائر، والمثلثات والنقاط، إضافةً إلى بعض الرموز الحيوانية كالأفعى، والحشرات كالذباب ، و النباتية كالزهور ،وسنبلة القمح ،والأشجار ،والنخيل، كذلك زخارف الطبيعة المتمثلة في الشمس، والقمر، والنجوم و غيرها... واعتمدت في نقش هذه الرسوم وسائل مختلفة منها الوخز بالإبر ووسائل أخرى حادة، إلا أنَّ الأكثر شيوعاً في بعض هذه الأرياف (الشلاطة) وهي وسيلة مصنوعة يدوياً يكون رأسها حاداً إما لتشريط أو وخز أو حفر المكان المراد وشمه ثم تلوينه إما برماد النار أو الكحل أو الحناء المحروقة إلى جانب بعض الأعشاب مثل (الرمرام) وهو الأكثر شيوعاً أو بعض الأعشاب الطبية إنْ كان الهدف من الوشم علاجياً؛ لتعطي بعد فترة رسماً بعينه ينتسب لسكان المنطقة ، ومحملاً بأفكار و اعتقادات هذه الجماعة البشرية دون غيرها، كما تشترك مع غيرها من الثقافات ولاسيما الأمازيغية والعربية، كون أغلب ساكنيها ينحدرون من هذه الأصول المتجذرة في التاريخ الجزائري، فحملت هذه الوشوم دلالات كثيرة وأبعاد مختلفة تعكس طبيعة المجتمع القالمي وأصوله وعاداته واعتقاداته.

أولا.دلالات الوشم الأنثوي في منطقة قالمة:

يُعدّ الوشم الأنثوي في منطقة قالمة من الممارسات التقليدية التي تحمل أبعادًا ثقافية واجتماعية وروحية متعددة، وهو لا يقتصر على كونه مجرد زينة جسدية، بل يتجاوز ذلك ليؤدي وظائف رمزية ودلالية عميقة داخل المجتمع المحلي. فقد شكّل الوشم وسيلة للتعبير عن الهوية الفردية والجماعية، ومؤشرًا على المراحل الانتقالية في حياة المرأة، مثل البلوغ والزواج والأمومة. كما

أدّى دورًا وقائيًا يُعتقد أنه يحمي من الأرواح الشريرة أو الحسد، إلى جانب دوره في تجميل الجسد وفقًا لمعايير الجمال التقليدية. وتكشف دراسة وظائف هذا الوشم عن شبكة معقدة من المعاني التي تعكس علاقة المرأة بجسدها، وبالطبيعة، وبالمقدس، وبالمنظومة الاجتماعية التي تنتمي إليها.

1-البعد الجمالي :

يهدف الوشم في مختلف المجتمعات لزينة المرأة وجمالها قبل أنْ تُعرَف له باقي الدلالات خاصة عند الجمعات الشعبية العربية؛ حيث كان مستحباً لدى كل الأطراف، فكان الرجال يطلبونه من زوجاتهم كضرورة جمالية، فراحت تضعه الأنثى في مختلف أطراف جسمها لجذب وإثارة الطرف الآخر، وقد كان آنذاك الوشم المُظهر الحقيقي لجمال المرأة العربية والأمازيغية، وتعبيراً حقيقياً عن مدى حسنها الأخاذ، في هذا الصدد يقول الرسام الدنماركي (هلين فرينكل): "أحياناً كثيرة تجدهن في الحقول أو المسالك الوعرة بالجبال يرددن صيحات غنائية لا يضاهيها من الحجة والجمال سوى مرأى تلك الأشكال المرسومة بعناية فائقة على خدودهن أو ذقونهن أو جباههن وأحياناً أعناقهن وأيديهن..."[1]، وبالتالي ارتبط الوشم التجميلي بالأعضاء الظاهرة من جسد المرأة كالجبهة والذقن، والخدين، واليدين على وجه الخصوص.

وكذلك هو الحال في منطقة قالمة حيث ينتشر الوشم التجميلي عند نساء الريف كما في باقي الثقافات، إلا أن النظرة إلى الجمال لم تكن واحدة لاختلاف العوامل البيئية و الحضارية ، ففي الشرق الجزائري طغت فكرة الأنثى الجميلة هي خرساء الأساور ، بيض الوجوه ؛ أي أن السمنة والبياض من معاني الجمال الأنثوي[2] ، و في الغالب صاحبة هذه الأوصاف هي الأكثر وشوماً، لأن الأنثى المكتنزة لحماً محبذة من طرف الرجل و المجتمع في مدينة قالمة منذ القدم وإلى غاية يومنا في بعض المناطق القروية، والوشم ثاني سمة من سمات المرأة الجميلة ، وأكثر علامات الحسن انتشاراً وما نجد :

[1] نقلا عن: محمد جنوبي، الوشم بين الرموز والأشكال بالمغرب،جريدة بيان اليوم، المغرب، عدد دجنبر 1998م.

[2] ينظر: صلاح عبد الستار محمد الشهاوي، الجمال في تراث العرب، مجلة العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ع 577، 2008، https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/7915، تاريخ الزيارة: 2025/04/01.

صورة رقم1

يظهر في الصورة رسم لنقطة فوق الشفّة العليا مباشرة في جهة اليمين ، و يطلق عليها (خانة الزين)؛ إذ تعد الشامة من أكثر علامات الأنوثة و الجمال والمستحبة عند الرجال، سواء في الوسط القالمي أو خارجه، فكانت الأوسع انتشاراً في مختلف الثقافات؛ حيث أخذت الأنثى تضع الشامة في أماكن مختلفة من جسدها لكن في أغلب الأوقات تكون فوق الشفة، حيث تتوسط الوجه وبذلك تكون أكثر وضوحاً وجذباً للطرف الآخر و تزيدها حسناً و جمالاً، ولا ترتبط هذه العلامة بفترة عمرية محددة و إنما بإمكان أي فتاة وضعها، المهم تتجاوز سن البلوغ ، وفي أغلب الأوقات تضعها العروس قبل زفافها كنوع من التزين.

الصورة رقم 3

الصورة رقم 2

أيضاً من بين أكثر الوشوم انتشاراً وشيوعاً على جبين المرأة القالمية ما يظهر في كل من (الصورة 2، و3) خاصة في بلدية بلخير وضواحيها. والشكل عبارة عن خط مستقيم ينتهي بين العينين بمثلثين وعلى كلا الجانبين يوجد علامة زائد صغيرتين ومتناظرتين يفصل بينهما العمود المستقيم والذي يلتف حوله مثل خيط ملتوي، و هذا الشكل لا يقارب أي شيء من الواقع وحتى صاحبات الوشم أنفسهن لا يعرفن تسمية الوشم أو إلى ماذا يرمز غير أنه وضع لهن عند الزواج بغرض التزين و تجميل العروس لزفافها و لزوجها حيث كما قالت بعضهن أن العريس كان يدفع حق وضع الوشم لأن الرجل القالمي كغيره يحبذ ويستحسن الوشم على وجه زوجته، فهذه العادة لا تقتصر على منطقة دون أخرى و إنما منتشرة في كل البقاع والمجتمعات.

الصورة رقم 04

أما (الصورة رقم 04) شكل أخر من الأشكال المعروفة بكثرة في المنطقة وبالتحديد بلدية الركنية، وكما يظهر هو عبارة عن خطوط عمودية و أخرى أفقية متقاطعة إضافة إلى نقاط ومثلثات باللون الأزرق وهو قريب نوعاً إلى الوشوم الأمازيغية وخاصة في نهاية رسم الوشم الذي ينتهي بين الحاجبين يشبه الحرف "زاي" ⵣ الأمازيغي و الذي يرمز للحرية، ويضع هذا الشكل أيضاً بغرض التجمل و التزين كما أنَّه رمز للأنوثة أو النضج يوشم عند بلوغ الفتاة دلالة على بلوغها سن الرشد.

الصورة رقم 05

الصورة رقم 6

صورة توضيحية

أما ما هو ظاهر في (الصورة رقم 05 والصورة رقم 06) من أكثر الوشوم انتشاراً في منطقة قالمة والجزائر بأكملها، كما أنَّهما يرجعان إلى أصول أمازيغية. فالأول نقش تقريبي لشكل "الخلالة" أو "الدبوس الأمازيغي"، وهو نوع من الحلي التقليدي له تاريخ عريق؛ حيث تضعه المرأة في شمال افريقيا إماعلى ثيابها أو في مناطق مختلفة من الجسم مثل (الشعر أو الرقبة أو الجبين)، تعرف الخلالة بعدة أسماء نحو (تزغنست أو تزرزيت في بلاد القبائل الكبرى و تسمى في مناطق أخرى بالإفزيم أو الإبزيم كما تسمى بزيمة أو كتفية كما هو موضح في الصورة التوضيحية)، و تكون إما من الفضة أو النحاس وتوضع عادة للزين ولها أهمية بالغة في المجتمع الأمازيغي؛ لذا تضعها المرأة وشماً محملاً بالكثير من الدلالات ،والخلالة في حقيقة الأمر هي عبارة عن مثلث قاعدته إلى الأعلى و رأسه إلى الأسفل وتعلوه

حلقة(دائرة)ولكل من المثلث و الدائرة دلالات قداسية ، فالمثلث مثلاً يشار به إلى فكرة الخصوبة التي تجسده الأعضاء التناسلية للمرأة و الرجل ، "فرمزية المثلث للأعضاء التكاثرية يتمثل في طريقة توجيه قاعدته و رأسه ، فعندما تكون القاعدة موجهة إلى الأعلى و الرأس للأسفل فهو يرمز للعضو الأنثوي وهو نفسه الموجود في الخلالة الأمازيغية ،وعندما تكون القاعدة موجهة إلى الأسفل و الرأس للأعلى فترمز للعضو الذكري "[1]،أما الدائرة فتشير إما للشمس والقمر وكلاهما من عناصر الطبيعة التي قدسها المجتمع المغاربي قديماً كما أنَّها ترمز للأنوثة والخصوبة و كذلك للاستمرارية كون الدائرة لا تملك بداية و لا نهاية. وقد أشار بعض الدارسين أنَّ الخلالة ماهي إلا رمز للآلهة (تانيت) التي عبدت وقدست في بلاد المغرب القديم والتي كانت تمثل في المعتقد الوثني القديم آلهة الأنوثة والخصب، كما ارتبطت بالطبيعة والزراعة والأمطار.

أما الوشم الثاني فهو رسم تقريبي للنخلة و الذي تواجد بكثرة في(بلدية بوحشانة) و ضواحيها، وكما يظهر عبارة عن خط عمودي يتوسط الجبين يتفرع من قمته خطوط مائلة يميناً و يساراً متوازية بمثابة سعف النخيل و نقاط تمثل الفاكهة، وغايته تجميلية بطبيعة الحال إلا أنَّ للشجرة بصفة عامة و النخلة بصفة خاصة دلالات رمزية ؛ حيث ترمز الشجرة للحياة و الرزق و العطاء و الخصب والنماء والازدهار والتجدد والبعث والخلود، فهي تتضمن معاني رمزية عميقة تمس وجود الإنسان، " كما تمثل الشجرة القدرة الكونية و تحمل بعداً روحياً وتمتلك قوى مقدسة فهي تنمو عمودية وتتجدد أوراقها كل سنة أي أنَّها تلعب لعبة القيامة، تموت ثم تعود إلى الحياة وهي بذلك رمز للكون."[2]

كذلك النخلة تتضمن معنى السعادة و التفاؤل و الخير و الخصوبة والأمومة ،فقُدست في كل الحضارات والديانات ؛ حيث توجد " عادة وضع سعف النخيل والريحان على قبور الموتى في المواسم والأعياد، وربما هذه العادة متخذة من معتقدات العرب ، فالنخلة عند العرب ترمز إلى الوفاء، كما

[1] فارس دعاس: الدلالة الرمزية لنماذج من العادات التقليدية الجزائرية في اللباس والحلي والزينة وخلفيتها في التاريخ القديم، المجلة التاريخية الجزائرية ، مج8، ع1، 2024، ص160.

[2] حسن نعمة : موسوعة ميثولوجيا واساطير الشعوب القديمة و معجم اهم المعبودات القديمة ، دار الفكر اللبناني ، مج1 ، بيروت، لبنان ، 1994 ص، 28.

أنَّها رمز لدرء الحسد ، فكان يعلق أوراق النخيل السبع ، في رقبة المولود بحيث توضع تحت إبطه الأيمن "[1]. و لأهميتها القداسية اتخذتها المرأة وشماً جمالياً كرمز للقوة والشجاعة فتضعه عند زفافها لتكون قوية وشامخة، وتتحلى بالكلام الطيب و الأفعال الحسنة.

الصورة رقم 07

ولم تكتف المرأة القالمية بتزيين جبينها و حسب بل أخذت تضع نقوشا مختلفة على كل من خديها و ذقنها كغيرها من النساء، ففي (الصورة رقم 07) مثلاً تَنقُش المرأة رسم على شكل معين ينتهي في كل زاوية من زواياه الأربعة بمعين آخر صغير ، و المعين هو عبارة عن شكل هندسي يتكون من التقاء العددين(٨.٧) و يستخدم بكثرة في الحِرف اليدوية والمشغولات كالمنحوتات و زخارف الآنية الفخارية ونسيج الزرابي و أيضاً في زخرفة العمران، كان يعتبره القدماء رمزاً للقوة والحماية، ورمزاً للحياة والخصوبة والإنجاب، كما يمثل التوازن بين قوى الطبيعة: كالأرض والسماء، الذكر والأنثى، الروح والجسد، الليل و النهار... يستخدم رمزاً لصد العين الحسودة والأرواح الشريرة لشكله المغلق.

[1] ايمان احمد عارف الرسوم الشعبية و توظيفها في التصوير الجداري المعاصر ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التصوير الجداري، ، كلية الفنون الجميلة، قسم التصوير ، جامعة حلوان، مصر، 2000. ص : 125.

الصورة رقم 08

ومن الأشكال التي كثر ظهورها على ذقن المرأة في قالمة (السيالة)، وهي عبارة عن خط عمودي يتوسط الذقن يبدأ من تحت الشفة مباشرةً وينزل نحو الأسفل و يحمل على جانبيه قطرات كما هو ظاهر في (الصورة رقم 8) و في بعض الأحيان يتقاطع مع الخط العمودي خط أفقي مشكلاً رمز الصليب كما هو في الرسم التوضيحي، وقد يوضع في الجبين و تحديداً في الوسط بين العينين، وهذا الوشم يتواجد بكثرة عند المرأة الأمازيغية، يدل على نزول المطر أو طلب نزول المطر، لكن تبقى غايته تجميلية .

الصورة رقم 9

رسم توضيحي

الصورة رقم 10

اعتمدت المرأة القالمية في تزيين خديها على بعض الأشكال الهندسية من معينات ودوائر كما هو ظاهر في كل من (الصورة رقم 09،و10)، فالوشم الأول هو عبارة عن معين صغير،أما الوشم الثاني دائرة وهي رسم تقريبي للشمس، والتي ترمز للقوة والخلود والديمومة والإستمرارية لشكلها الدائري، وتُعَّد مصدر الطاقة ومركز الحياة ؛ لذا تحمل دلالات قداسية لأن الشعوب القديمة كانت تعبد و تقدس كل ما يفوق قدرتهم، و كان يعتقد البعض أنَّ الملوك بعد وفاتهم يصبحون شمسا، وقد يكون لها غرض علاجي.

كانت هذه أكثر الأشكال التي اعتمدتها المرأة القالمية كوشم للزينة والتجميل، اضافة إلى أشكال أخرى أغلبها يعود إلى التراث الأمازيغي، نحو الزهور والنجوم ...و أكثرها على الإطلاق الصليب الذي يظن البعض أنَّه من التراث المسيحي الروماني إلاَّ أنَّه في حقيقة الأمر ما هو سوى حرف (التاء) (T) من حروف (التيفيناغ) ، وهو أول حرف في كلمة (تمطوت)، والتي تعني (المرأة) باللغة الأمازيغية. ومن هنا يصبح الوشم نوع من أنواع المكياج يستعمل عموماً عند النساء من أجل التجميل، وإثارة الإعجاب، فيستحيل الجسد كصفحة للقراءة، أو كنص يصبح الوشم فيه خطاب[1].

2- البعد العلاجي:

استُخدِم الوشم في الجزائر قديما لأغراض كثيرة من بينها التداوي ؛ حيث كان يعتقد الإنسان الأمازيغي أنَّه للوشم قوة وقائية تحميه من الأمراض الجسدية و النفسية، ويحصنه من تقلبات الطبيعة المفاجئة ، وقد كان هذا الاعتقاد سائدا عند قدماء العرب في شبه الجزيرة العربية يعالجون به أمراض الرأس و الأسنان و الأعين ظناً منهم أنَّ ذلك الدم الذي يخرج إثر التشريط أو الغرز تخرج

[1] - بلقاسم الجطاري ، الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافة الأمازيغية ، سؤال الثقافة الأمازيغية : البناء و النظرية، منشورات كلية الآداب ، وجدة ، المرب،2000م،ص73.

معه السموم المسببة للأمراض و الآلام ، و يضيف " ميس بلاكمان " أنَّه قد يكون للوشم فعالية في القضاء على وجع الرأس، وسعار الأسنان، و الضعف البصري ، ومس الجن أو الأرواح.[1]

وعموماً وضع الوشم العلاجي في القبائل الجزائرية الأمازيغية على الجبين وعلى جانبي الرأس والذقن والعنق و على ظهر اليد و الرسغ و الأصابع وعند المفاصل ...

صورة رقم 11

صورة رقم 12

وكذلك الأمر في منطقة قالمة، حيث تداولت فكرة التداوي بالوشم في العديد من الأمراض من بينها آلام المعصم أو الالتواء الذي يكون نتيجة الأعمال الشاقة اليدوية التي تحترفها المرأة في منطقة قالمة كنسج الزرابي وصناعة الفخار و حتى في فلاحة وزراعة الحقول ..فيعالجونه بالوشم وقد اتخذ هذا الرسم أشكال كثيرة و مختلفة تتنوع ما بين أشكال هندسية ،كالخط وهو ما يظهر في (الصورة رقم 11) و الذي يعبر عن الثبات و الهدوء والاستقرار، و عادة ما يكون قاعدة لنقوش أخرى . وقد يتخذ الوشم علامة الزائد كما هو في (الصورة رقم12) أو حرف (التاء T) من حروف التفيناغ والذي يرمز للأنوثة،

[1] نقلا عن: وينغريد بلاكمان، الناس في صعيد مصر : العادات و التقاليد ، تر: احمد محمود ،ط1، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية ، 1995،ص 23.

صورة رقم 13

صورة رقم 14

و في حالة كان الرسام محترفا قد يتفنن في رسمه و يضيف أشكالا أخرى مثلما يظهر في(الصورة رقم 13) حيث أضاف في نهاية حرف (T) قلب صغير فيظهر بمثابة سهم و نحوه . كذلك اتخذ الوشم نقوش أكبر فتغطي كامل ظهر اليد، و تكون أكثر زخرفة من خلال الخطوط العمودية و الأفقية والمائلة و غيرها من مثلثات و دوائر .. قريبة نوعاً ما من شكل النباتات والزهور و أغصان الأشجار نحو الصور الثلاثة (14، و15، و16). تقول صاحبة (الصورة رقم14) أن في شبابها اعوج عظم رسغها ما سبب لها آلاما كبيرة نتيجة استخراج الماء من البئر وقطع مسافات طويلة حاملة الدلو فأخذتها والدتها عند معالج القرية ووضع لها هذا الوشم من اختياره هو .

الصورة رقم 15

ونفس الكلام تقريباً ينطبق على باقي الصور فقط يختلف سبب المرض و شكل الوشم، فوشم (الصورة رقم 15) مثلاً يختلف عن وشم (الصورة رقم 14) رغم أنَّه من نفس الضاحية حيث كلاهما قريب من أغصان النباتات لكن بطريقة مختلفة، كما يظهر في الصورة رقم 15 اليد مرصعة على الجانبين بنجوم و قلوب صغيرة ، وقد كثرت الأشكال القريبة من النباتات في الوشم الخاص بمنطقة قالمة و قد يعود هذا إلى طبيعة المنطقة الخضراء ، فمثلاً في (الصورة رقم 16) يظهر على يد المرأة وشم قريب من شكل سنابل القمح اضافة إلى رسم لشكل المنجل، ووشم سنبلة القمح ليست عادة خاصة بمنطقة قالمة فقط ؛ حيث ترمز في الأساس للتكاثر و الخصوبة ونموها فال خير وبركة كما ترتبط بنزول المطر فهي رمزاً للعطاء، إلا أنَّه يكثر هذا الرسم خاصة في بعض المناطق الريفية في قالمة، حيث يعتمد عيشها على زراعة القمح ؛ لذا تكثر أشكال السنابل و المنجل كما في (الصورتين 16و17) اضافة إلى بعض النباتات الأخرى. و تنقش السنبلة عادة قبل أن تزف الفتاة لتكون كالسنبلة في عطائها وإنجابها للأطفال وبالتالي تقيها من العقم، كما تمثل فال خير عليها وعلى بيتها الجديد وعلى عائلة زوجها، ومع ذلك يظل الغرض من هذا الوشم علاجي؛ إلا أنَّ الفتيات يعمدن إلى اختيار مثل هذه النقوش بهدف الزينة من جهة و أيضاً لتحل محل الحلي والمجوهرات؛ حيث أغلبهن كن يعشن حياة بسيطة لا يملكن حق الذهب والفضة.

الصورة رقم 16

الصورة رقم 17

وقد اعتمدت المرأة القالمية كذلك على الوشم في علاج ألم المفاصل وخاصة الركبة نحو ما يظهر في (الصورة رقم18)؛ حيث تغرز شكل زائد عدة مرات بطريقة دائرية حول الركبة، وبعدما يسيل الدم تضع عليها إما بعض الأعشاب الطبية، و إما الحناء ،أو الفحم كما في الصورة ، وليس شرط أن تذهب إلى الطبيب أو الوشام فمنهن من يفعلن بأنفسهن لبساطة العملية. الأمر نفسه في علاج آلام الرأس أو (الشقيقة) من خلال تشريط عدة خطوط صغيرة أعلى الجبين، وفي بعض الأحيان على جانبي الرأس، وعادة ما تتخذ أشكال أخرى كالنقاط و الدوائر و غيرها... ولاتزال هذه الطريقة العلاجية سائدة في بعض المناطق الريفية إلى يومنا إلا أنه لا يلون المكان المغرز حتى لا يظهر لأنهم اقتنعوا بفكرة تحريم الإسلام للوشم .

الصورة رقم 18

الصورة رقم 19

كان يستعمل الوشم أيضا لعلاج آلام المعدة واستمر إلى يومنا هذا؛ حيث تدق عدة نقاط بطريقة دائرية مكان المعدة بالتحديد، وتعطي في النهاية شكل الشمس، وكما هو الحال مع ألم الرأس وكذلك استخدم الوشم لعلاج (البوصفير) والذي ينتج عن نقص الكريات الحمراء من الدم ، من خلال تشريط خطان تحت الأذن اليمنى و خطان تحت الأذن اليسرى، ثم تشريط 5 خطوط وسط الرأس.

اتخذ أيضاً الوشم كوسيلة من وسائل علاج و صد العين و الحسد ومس الجن و الشياطين وحماية الفتيات الجميلات ، وذلك يكون إما من خلال رسم أشكال تكون نهايتها حادة كالإبزيم أو الخلالة أو حرف (التاءT) على الجبين لصد العين و الحسد أو نقش بعض الحيوانات السامة كالعقرب أو الأفعى نحو ما يظهر في (الصورة رقم19) رغم أن الوشم وضع في الأساس للعلاج من مرض التواء المعصم إلا أن المرأة اختارت الأفعى لتبعد عنها العين والحسد .

وللحية رموزا و دلالات كثيرة، حيث ارتبطت بالشر منذ بداية الخليقة، غير أنَّ الشعوب الأولى عبدتها خوفا منها و اتقاء لشرها، و منذ ذلك الحين اتخذت رمزاً لاتقاء الشرور وعند العرب على وجه التحديد، كما تعد في بعض الأساطير رمزاً للقوة والخلود. و ترسم في بعض الأحيان على الكاحل أو ساق المرأة كي لا يبتعد عنها زوجها و لا ينظر لغيرها.

انتشرت أيضاً عادة رسم الذباب إما على الخد _وهو الغالب_،وإما على الذقن كما يظهرفي (الصورة رقم 20)و الرسم التوضيحي، وذلك لأنَّ الفتاة كانت غاية في الجمال وحتى لا تقع ضحية غيرة الفتيات والعين الحسودة والإغتصاب وضعت لها تشويهاً لجمالها، وهذه العادة كانت منتشرة من عهد الإحتلال الفرنسي؛ إذ كان جنود المستعمر لا يقتربن من الفتيات الحاملة لهذه الوشوم، واستمرت هذه العادة لوقت ليس ببعيد .

رسم توضيحي

الصورة رقم 20

3- بعد التطهير:

كان الوشم في القديم إبان الديانات الوثنية والطوطمية نوع من أنواع القرابين التي كان يقدمها الإنسان فداء لطوطمه أو لآلهته اتقاء بطشها من جهة و من جهة أخرى لتحميه من انقلابات الطبيعة غير متوقعة، و من المخاطر التي تهدد حياته ،والتضحية هنا تكون بسيلان الدم أثناء عملية الوشم، و استمر هذا الاعتقاد لفترة طويلة رغم زوال هذه العباد ،وأصبح الوشم شكل من أشكال تطهير النفس البشرية من الآثام و الذنوب التي يرتكبها الإنسان في غفلة من حياته، وبعدما يعي سبب كثرة همومه و مصائبه و أمراضه يلجأ إلى تشريط مكان محدد من جسده تكفيراً عن تلك الذنوب ومع سيلان قطرات الدم ينال رضا روحياً و طمأنينة نفسية و تزول كربته ويتحرر من ضغوطاته النفسية. وتتخذ هذه الوشوم أشكال مختلفة تكون بسيطة في الغالب وفي أماكن مختلفة وخاصة الأجزاء الظاهرة من الجسم مثلاً ما يتضح في (الصورة رقم 21). وبذلك يصبح الوشم رابطاً مادياً بين الجسد والروح ووسيطاً بين الجسد والمقدس، فهو ينقش الذات البشرية على سطح الجسد، كما يمثل علاجاً جسديا وآخر روحياً.

الصورة رقم 21

4-البعد السحري:

ارتبط الوشم منذ بدايته بأمور الشعوذة والسحر؛ لذا يعد البعد السحري أكثر الأبعاد ارتباطاً به وخاصة عند الشعوب البدائية الإفريقية؛ حيث كانت تستخدمه للتواصل مع القوى الغيبية والماورائية، و كانت " بعض القبائل الأمازيغية تستخدم الوشم لإبطال الأعمال السحرية أو

ضد أعمال الشر أو تميمة واقية من الحسد والعين. ولا تزال هذه الممارسات سارية حتى الأن في بعض المناطق المغربية خاصة الجبلية، حيث تقوم بعض القبائل في منطقة الريف بممارسة الوشم باللون الأخضر للتعبير عن السلام و السعادة والأمان، واللون الأسود ضد العين و الحسد، ويظهر دوره السحري عند بعض الأمازيغيين الذين يعتقدون أن الوشم فوق العين من شأنه تقوية البصر، وعلى جانبي الجبهة لإبعاد ألام الرأس "[1].

الصورة رقم 22

وقد اعتمدت نساء قالمة بعض الطقوس السحرية عند نقش الوشم لحماية أنفسهن و بناتهن من ما يتربص بهن من أخطار، مثلاً عند نقش شكل الإبزيم أو حرف (التاء T) أو رسم أفعى أو عقرب، أو نقطة، أو علامة زائد أو أعمدة متقاطعة على رسغها لأجل الوقاية من العين الحاسدة وتحصيناً من الجن وألاعيبهم، ويتم ذلك من خلال قراءة بعض الطلاسم السحرية أثناء القيام بعملية فصد الجلد ثم تلوينها في أغلب الأحيان بالأسود .

[1]بلقاسم الجطاري ، الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافة الامازيغية ، سؤال الثقافة الامازيغية : البناء و النظرية ، ص72.

الصورة رقم 23

أيضاً من بين الوشوم التي ارتبطت بالسحر ما يعرف بوشم العياشة تقوم به المرأة التي لا يبقى لها أطفال على قيد الحياة ويموتون بعد الولادة مباشرة سواء كانوا ذكورا أو إناثا، في بعض المناطق تضعه المرأة نفسها إما على مرفقها أو ساقها لكن في منطقة قالمة يوضع للطفل عند ولادته ليعيش هو ومن بعده من أطفال، ويتخذ الوشم إما شكل خط عمودي مثل (الصورة رقم23) أو نقطة وكلاهما على الجبين، وتحمل طاقة سحرية بعد الاستعانة بالعالم الخفي . وأحياناً تكون النقطة على جبين الطفل للعلاج من البكاء المتواصل والغيرة المفرطة و تعتمد فيه كذلك طلاسم سحرية لحماية الجنين أو الطفل من العين التي قد تكون سبب في مُصابه.

ومن الممارسات الأكثر شيوعياً في قالمة وباقي المناطق، التصفيح حيث تقوم هذه الممارسة على ارتباط الوشم بالسحر أو قيام الوشم على السحر أساساً، فهي ممارسة سحرية طقوسية بالدرجة الأولى توارثتها المرأة الجزائرية منذ القدم لحماية جسد الفتاة وتحصينه وحجبه عن الآخر الذكر، ولا تزال قائمة إلى يومنا في بعض المناطق و خاصة الريفية، وهذه العملية تقام على مرحلتين الأولى تقييد الفتاة بقيود غيبية قبل البلوغ في سن صغير جداً، والثانية فك هذه القيود الغيبية قبل ليلة الزفاف وكلا العمليتين تخضع إلى طقوس سحرية وطلاسم وشعوذات يحضر فيها الجن للاستعانة به، وتختلف طرق هذه الممارسة من منطقة إلى أخرى ،لكن بالعموم هي عملية فصد ثلاث نقاط فوق الركبة كما يظهر في (الصورة رقم24) وبعد اتمام العملية السحرية تلون هذه النقاط التي

تمثل حصن الأنثى ودليل شرفها، أما في وقتنا الحالي أصبحت لا تلون هذه النقاط ولا تكون بالضرورة فوق الركبة .

الصورة رقم 24

أيضاً شاعت ممارسات أخرى حيث ارتبط الوشم بالسحر، من بينها ممارسة قطع الخلفة أو عدم الإنجاب، كي لا تتمكن الفتاة من إنجاب الأطفال، وتقوم ايضا على مرحلتين أولاً تقيد الفتاة بعد تجاوزها سن البلوغ في حالة لم تصَّفح، وثانياً فك هذا القيد عند الزواج، ويكون وشم هذه الممارسة عبارة عن خط طويل على جانب الفخذ. ومن بين العمليات الأخرى وشم الشؤم حيث تقام طقوس سحرية لوشم العروس الجديدة التي لم تجلب معها إلا المصائب والشؤم لبيت زوجها، فيشمون لها أشكال مختلفة أو خط عمودي خلف ساقها نحو (الصورة رقم 25) أو نقش سهم متجه للأسفل وسط الجبين كما في (الصورة رقم26) أو خط عمودي يتوسط الجبين كما رأينا سابقاً في (الصورة رقم 23) مع قراءة بعض الطلاسم السحرية رفقة طقوس معينة، والغاية منه نزع الشؤم منها وجلب الخير والسعادة لبيتها وأسرتها والربح والرزق لزوجها والبركة في أعماله. اضافة إلى الوشوم المتعلقة بقراءة الطالع أو كما يقال بالعامية القالمية (التبراج) وذلك من خلال قراءة طالعها أو حظها وما سيحدث لها ثم رمي الغربال عليها وأينما يقع يشمون لها رمز محدداً، وفيه ايضاً يُعتمد على السحر.

الصورة رقم 25

الصورة رقم 26

هذا إلى جانب بعض الممارسات الأخرى التي يعتمد فيها الوشم على السحر بغية الحماية وجلب الخير والعلاج ولتحقيق الثروة والغنى والرفاهية، معتمدين في ذلك على بعض الشعوذات والقراءات الطلسمية مستعينين بعالم الجن و الماورائيات مضحين بأنفسهم فداء لهم من خلال صفد الدم الذي يعد قربان لهذه الغيبيات كي تنال المرأة مرادها و تحقيق الحماية أو السعادة أو الفلاح والنجاح التي تسعى لها.

5-البعد الانتروبولوجي :

يُعَّدُ الوشم أحد أهم الظواهر الثقافية التي تهتم بها الأنثروبولوجيا ؛حيث ينقش القيم الثقافية والاجتماعية والدينية للمجتمع الذي يمارس فيه، أي أنَّه يجسد حياة الإنسان وعاداته ومعتقداته وسط جماعته، وبالتالي الوشم ممارسة أنثروبولوجية بامتياز، فالوشم لم يكن مجرد زينة وجمال كما هو شائع بل له دلالات وأبعاد أكثر اتساعاً وعمقاً فهو تعبيراً عن الهوية والانتماء القبلي كما له أبعاد دينية و أخرى سحرية روحية و طقوسية .ورغم زوال الظروف التي نشأ فيها الوشم إلا أنَّه استمر لعهود طويلة، حيث مازال يمارس إلى يومنا وإن كان بطرق حداثية، إلاَّ أنَّه لا يزال يحمل دلالات أكثر من مجرد زينة .

تَعَرف المجتمع القالمي على الوشم منذ تواجده على أرض هذه المنطقة ومارسه بشكل يومي وعدَّه طقساً ضرورياً في كامل مجالات حياته، وبذلك كان الوشم علامة تحديد هوية هذا الفرد وانتمائه

العرقي والقبلي؛ حيث تعود أصول هذا المجتمع القالمي إلى القبائل الأمازيغية والعربية، وقد تجلى ذلك في بعض الوشوم التي اتخذت أشكالاً مماثلة للوشم الأمازيغي وحملت دلالات ورموز عربية قديمة ما يدل على أصل طبيعة تفكير المجتمع القالمي واعتقاداته المتوارثة.

ويحمل الوشم في منطقة قالمة و خاصة الوشوم التي تضعها المرأة أبعاد طقوسية طوطمية حيث يرتبط بالحياة القبلية الأمازيغية الأولى؛ حيث كان له علاقة وثيقة بهذه الممارسات الوثنية مما لها من قيمة وسط هذه القبائل، ورغم سقوط هذه القداسة إلاَّ أنَّ لا تزال هذه الأشكال ذات أبعاد طوطمية ترمز لأصل الإنسان و انتمائه، من" هنا يظهر الوشم كشكل من أشكال التعريف الذاتي لتأكيد الهوية فالوشم يعني لصاحبه تأكيد ذاته و اصراره على انتمائه لتقاليد قريته الأزلية " [1].

يعبر الوشم في هذه المنطقة عن المراحل الانتقالية من عمر الإنسان، كالانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد ومن مرحلة العزوبية إلى مرحلة الزواج، والانتقال إلى مرحلة الاطمئنان الروحي والتطهير النفسي ... ما إلى ذلك. وبالتالي تعبر تلك الأشكال التي تزينت بها المرأة في قالمة، عن دلالات الخصوبة والعطاء والرغبة في الزواج، والارتقاء من عالم الجسد نحو عالم الروح، تقول في ذلك الباحثة المغربية (فاطمة فائز) : " ... و من هنا ، فقد كان الوشم أيضاً ينجز في أجواء طقوسية مفعمة بالرموز و الدلالات التي تكفل الاتصال بالعالم الماورائي، وكان يقصد منها استجلاب نعم الآلهة ورضاها واتقاء نقمها و غضبها ومن ثمة، كانت ممارسات الوشم الطقوسية تبتغي طلب الزواج للعازبة، وطلب الخصوبة للعاقر، كما أنه عموماً يرجى منه التحصن من العين الشريرة، ودرء كل الأضرار الواقعة منها والمتوقعة ."[2]

وبالتالي الوشم ممارسة أنثروبولوجية طقوسية تعبر عن هوية الإنسان وانتمائه القبلي والطوطمي، وهذه الأشكال محملة بدلالات ذات أبعاد واسعة تُنِم عن الغاية منه التي تتمثل في

[1] بلقاسم الجطاري ، الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافة الامازيغية ، ص71.

[2] وينغريد بلاكمان، الناس في صعيد مصر : العادات و التقاليد ، تر: احمد محمود ،ط1، عين للدراسات و البحوث الانسانية والاجتماعية ، 1995.

الخصوبة والرغبة في الزواج وتكوين أسرة كما يظهر في الوشوم السابقة التي تزينت بها المرأة في قالمة، اضافة إلى نيل الرضا الروحي والطمأنينة والخلاص النفسي .

6-البعد الهوياتي :

اعتمد الإنسان الأمازيغي على الوشم في كامل تمظهرات الحياة، وتعامل معه كضرورة طقوسية في جميع ممارساته لأهميته الثقافية ولدوره التاريخي الفعال، حتى أصبح الوشم بطاقة هوية الرجل الأمازيغي، وعلامة ثقافية واجتماعية ودينية، تحدد انتمائه البربري وتواجده الزماني والمكاني كما تميزه عن غيره من المجتمعات، ومن خلال هذه العلامات يبرز تفرده الحضاري والثقافي، وبالتالي يمكننا القول عن الوشم بصفة عامة والوشم الأمازيغي على وجه تحديد أنَّه وثيقة أنثروبولوجية تعكس تواجد الإنسان الأمازيغي وعطائه و تاريخه وثقافته منذ قرون مضت .

لقد انتقل هذا الاهتمام المفرط بالوشم إلى باقي أجزاء الوطن، فارتحلت معه ثقافة هذه القبائل لتدل على أصول و انتماء ساكنيها، وأصبح من السهل تحديد هوية الفرد و إلى أي قبيلة ينتمي، فالإبزيم على سبيل المثال عبارة عن علامة هوياتية أمازيغية محمل بتاريخ و ثقافة هذه الشعوب بمجرد رؤيته على ثياب المرأة أو جبينها يمكن تحديد أصلها و هويتها، كذلك سنابل القمح التي تعبر عن هوية المرأة الريفية، و غيرها من الوشوم التى أصبحت علامات تميز الرجل الأمازيغي عن الصحراوي الميزابي والصحراوي التارقي عن غيرهم ... داخل الوطن الواحد وخارجه.

وبالتالي الوشم ركيزة المجتمعات وأساس هويتها وتاريخها وثقافتها، ويمثل همزة وصل بين الجسد والروح وبين الجسد والمجتمع لذا يعد أهم سلوكات المجتمع ووثيقة تاريخه الثقافي والديني والاجتماعي والسياسي، و الاهتمام بهذه الرموز يولد الإحساس بالانتماء القبلي الهوياتي، فكل فرد يفتخر بأصول الرمز الذي يحفره على جلده بكل وعي و محبة رغم ما ينجم عنه من ألام و أضرار لدرجة التلذذ بها لنيل شعور الاستقرار الداخلي، و بالتالي الوشم خطاب سيميائي أنثروبولوجي، يطلعنا على انتماءات أصحابه الاجتماعية : الدينية، الثقافية، وحتى الإثنية، كما يمكن أن يشير لمكانة

أصحابه الاجتماعية أو أن يحدد شريحتهم العمرية، فهو يعلن عن انتماءات محددة داخل فضاء رمزي."[1].

ومنه نتبين أن الوشم في منطقة قالمة يمثل الهوية الحقيقية الموروثة عبر الأجيال المتلاحقة ويعبر عن العادات المعتقدات المتناقلة، ويعكس المكانة الاجتماعية لساكنيها، واعتقاداتهم الدينية والثقافية، كما يشير لطبيعة المنطقة وخصوبتها و خضارها.

7-البعد الاجتماعي:

يحمل الوشم أبعاد ودلالات اجتماعية حيث ارتبط عند كافة الشعوب وعند الأمازيغ وحتى في قالمة أثناء المناسبات الاجتماعية كالأعراس و حفلات الختان ,، وعند بلوغ البنت سن الرشد، و عند زواجها ،و الخروج من كفالة والدها إلى زوجها، و أيضاً عندما تتجمل لزوجها، وعند إنجاب الأطفال، وحتى عند المرض، أو التطهير الروحي، و عند طلب سقوط المطر، وعند حصاد القمح؛ أي أنَّه مرتبط بأحداث خاصة وليس اعتباطياً ، والوشم الأنثوي في العموم هو تعبيراً عن ذاتها، ويعكس مكانة المرأة وسط مجتمعها و نظرة الآخر الذكر لها، حيث أغلب الوشوم تشير إلى مكانة المرأة وأهميتها في المجتمع الأمازيغي و القالمي على حد سواء واحترام الرجل لها، ودفع حق وشامها لتتزين كغيرها من بنات جنسها، والحفاظ عليها، وكثيراً ما يأتي الوشم استجابة لطلب الرجل الذي يرى فيه اقرارا بامتلاكه التام لزوجته ، فجسم المرأة ليس ملكاً لها بل لزوجها، فله الحق في وضع خاتم ملكيته عليه، كما هو الشأن في النقطة الحمراء التي يضعها نساء الهنود على جباههن [2]".

لكن في معظم الأوقات يرتبط الوشم بنضج الفتاة و تهيئها للزواج أو رغبتها في الزواج كنقش الإبزيم على جبينها أو وشم حرف (التاءT)،أو الإنجاب، بكثرة فهو في بعض الأحيان يكون طلباً للخير والخصوبة و التكاثر كوشم سنبلة القمح، و في هذا يقول جورج كرنفال :" الوشم في هذه البلاد –

[1] - LE BRETON David (2002), « Tatouage et piercing ; bricolage Identitaire », in Revue des sciences humaines, France, N° 32, p. 33.

[2] بلقاسم الجطاري ، الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافة الامازيغية ، ص73.

يقصد المجتمع الأمازيغي – عند النساء إعلان عن مرحلة النضج والاستعداد لاستقبال الرجال، والإناطة بوظيفة الزواج ."[1]، اضافة إلى بعض الوشوم ذات الأبعاد الاجتماعية العلاجية كالتصفح وهي ممارسة اجتماعية تخضع لطقوس سحرية عند كل القبائل و في كل الأسر فكانت ضرورة لا يخلو منها بيت بهدف حماية بناتهم مما يتربص بهن من أخطار' حيث كانت البنت ولا تزال رمز لشرف عائلتها ومجتمعها . ولحفاظ المجتمع على شرفه وكرامته كان يغصب بناته على هكذا ممارسات في سن مبكر دون إدراك منهن معنى هذه الطقوس، وقد حرسن بعض الأمهات على ممارسة نفس الطقوس على أولادهن خوفاً عليهم ولحمايتهم من الجن ومن العشائر الأخرى أو من بائعات الهوى ...و قد تقوم بهذه الممارسات نساء اختصاصهن الوشم و السحر أو أي امرأة المهم تحترف سر الممارسة ونجاحها، وعادة الجدات من تتميزن بالبراعة .

وبالتالي تصبح تلك الخطوط الثلاثة خطاباً اجتماعياً محملاً بدلالات رمزية تعكس عادات ومعتقدات المجتمع، اضافة إلى ذلك تعكس عقلية المجتمع القالمي أو الجزائري بالعموم إبان الاحتلال الفرنسي وذكاء المجتمع في حماية بناته وشرفه من المحتل الغاصب؛ حيث مورست هذه الطقوس وقتها أكثر من باقي الطقوس الوقائية، تفادياً لما كان يفعله جنود المستعمر وغيرهم من خونة الوطن بالفتيات من اغتصاب وقتل...ومن ثم أخذت ممارسة التصفح في التغلغل داخل هذه الأوساط.

أما بعض الوشوم اتخذت منحى التعبير عن أوضاع المجتمع والسلطة، والطبيعة السياسية السائدة، حيث تخضع هذه المجتمعات لقوانين العادات والمعتقدات وسلطة الأعراف، فبعض الوشوم تعكس غضب وسخط المجتمع وقيامه ثورة على هذه الأعراف المسيطرة في كافة المجالات علَّها تتغير .

8-البعد النفسي:

على غرار كل الأبعاد التي يتمتع بها الوشم كذلك يحمل أبعاد نفسية عميقة شعورية ولاشعورية تعكس حالة الفرد الداخلية و موقفه من ذاته و مجتمعه ، ففي الكثير من الحالات يعد

[1] نقلا عن: محمد جنوبي ، الوشم بين الرموز و الاشكال بالمغرب ، جريدة بيان اليوم ، المغرب ، عدد دجنبر 1998م.

الوشم تعبير عن تجاوز صدمة نفسية ، أو تعويض عقدة نقص ما، أو الهوس بالكمال الروحي و الرضا النفسي خاصة عندما يرتبط الوشم برموز ذات دلالات وأبعاد تطهيرية وجدانية مثلما رأينا في البعد التطهيري ، و أيضاً الرغبة في الكمال الجمالي حيث يسود اعتقاد أنَّ جسم الإنسان يلد ناقصاً فيلجأ إلى إكمال النقص بطرق مختلفة منها الوشم كما رأينا في البعد الجمالي حيث تلجأ الفتيات إلى التزين بهذه الوسيلة المؤلمة؛ حيث يعتقد رجال بعض القبائل المرأة دون وشم لا فرق بينها وبين الرجل. وفي بعض الحالات يعبر عن تمرد الفرد على أعراف المجتمع والسلطة المتحكمة .

وفي هذا يقول بلقاسم الجطاري :" أن ابتكار الوشم و الرموز المستعملة فيه قد جاء بالارتباط مع اكتساب الإنسان الوعي بعدم اكتماله، ومن ثمة فإنَّ الوشم يكون وسيلة للاقتراب من الكمال، ويتعلق الأمر بتحقيق التوازن بين الوعي و اللاوعي، إذ يعتبر علامة ولوج عالم وحياة الكبار، فيوشم جسم الفتاة برسوم تُشخص حلم أمها واستهامها، وهي ممارسة غير مجانية، بل تسعى إلى حمايتها من كل ما يمكن أن يهدد مستقبلها " [1].

كما يعبّر الوشم عن قوة وشجاعة صاحبه الذي يضعه قصد هذا الغرض حتى يخفي خوفه أو ضعفه أمام الجماعة، ويعوض به الإحساس بالرجولة كونه يرتبط بفكرة المرور إلى سن الرشد، وأيضاً الإحساس بالسيطرة على ذاته و جسده و حياته عند خوض التجارب الصعبة ومواجهة الظروف القاسية؛ فقد كان الإفريقي يستخدم الوشم ليشعر بقوته الذاتية الداخلية التي تنعكس على من حوله، ليشعرهم بشجاعته لما يحدثه الوشم من الألم عند دقه على الجسد .[2]

اضافة إلى كل ذلك يعبّر الوشم عن حب الفرد لانتمائه القبلي و هويته ؛ حيث كان الإنسان قديماً يعبر عن حبه لطوطمه وآلهته من خلال تعريض نفسه و جسده إلى شتى أنواع التعذيب وإحداث خدوش فداء للآلهة لنيل رضاها ونيل الاطمئنان النفسي، ونقش رموز طوطمية على جسده افتخاراً وتعبيراً عن انتمائه، واعتقاداً منه أنَّها تُكسبه القوة والشجاعة والإقدام، وحسب ما جاء به

[1] بلقاسم الجطاري ، الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافة الامازيغية ، ص74

[2] فاطمة محمد مجدي ، رموز الفن الافريقي كمصدر لإثراء الجدارية الجزافية ، رسالة ماجستير ، كلية التربية النوعية ، جامعة أسيوط، مصر ، 2015.ص83.

عالم النفس يونغ أنَّ هذه الممارسات الطوطمية خلدت في ذاكرة اللاشعور الجمعي، وهو ما يفسر هوس مجتمعاتنا اليوم بالدم و ارتباطه بمعظم المناسبات والاحتفالات، وبالتالي يعبر الوشم عن ميولات الإنسان ومكنوناته الشعورية واللاشعورية، أو قد يكون تخليداً لذكرى ما، أو إثبات للوجود.

أخيراً نتبين أنَّ الوشم الأنثوي في منطقة قالمة يُعَّد ظاهرة ثقافية ذات دلالات عميقة وأبعاد جمالية وعلاجية وأنثروبولوجية ؛ حيث يعكس طبيعة عيش و تفكير المجتمع القالمي، وأبعاد اجتماعية نفسية وأخرى هوياتية إذ يحدد انتماء المجتمع القبلية و أصوله العربية الأمازيغية. وتنوع وشوم المرأة في منطقة قالمة لتعبر عن مراحل انتقالها من مرحلة عمرية إلى أخرى، كما عكست هذه الرموز ارتباط المرأة بالأرض والمجتمع والأعراف وتقيدها بكافة العادات والتقاليد، وأصبحت علامة للتعرف على ذاتها و اختلافها و تحديد انتمائها، وبذلك يتخذ جسد المرأة دور المسجل التاريخي والثقافي الاجتماعي، فيمثل الذاكرة الحية و الخطاب الخالد، ويبرز عمق التراث الشعبي المحلي وأصالته.

واتخذ الوشم عدة أشكال هندسية تختلف من منطقة إلى أخرى، حسب طبيعتها و عاداتها إلاَّ أنَّ جميعها مستلهم من عمق الثقافة الشعبية، قريبة من الوشوم العربية و الوشوم الأمازيغية، وقد يعود أصل هذا التشابه إما لأصول السكان العربية الأمازيغية، وإما يعود إلى القبائل الغجرية المتنقلة المعروفة باسم (بني عداس) الذين كانوا يجوبون أرجاء الوطن لجمع زادهم من خلال احتراف العديد من المهن والحرف اليدوية من بينها الوشم مقابل أجر زهيد أو كيس من القمح ، و بالتالي تنتقل أشكال الوشم لا ارادياً بسبب احتكاكهم بقرى وقبائل كثيرة. وتمثلت هذه الوشوم في الخطوط والنقاط و المثلثات ،و الصليب أو حرف (التاء) الأمازيغي، المعينات والدوائر، وعلامة الزائد والناقص، كذلك أخذت بعضها شكل النباتات والحيوانات، وزخارف الطبيعة : منها النخلة، وسنبلة القمح، والأفعى، والشمس والنجوم ...

لقد اهتم المجتمع القالمي بالوشم لاعتقادهم بأهميته فكان يوضع تحت ظروف احتفالية خاصة و في المناسبات الهامة، حيث كانت تقام له مراسم خاصة به منها الاجتماعات النسائية مع

ترانيم غنائية من بينها أغنية (يالبيضة جاك الوشام يحطلك الوشم فالزندة وفي الخدود يزيد الذبان..) ، وغيرها من التحضيرات التي تدل على أهمية هذا الطقس في الوسط الاجتماعي القالمي .

الخاتمة

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة يمكن القول إنَّ الوشم يعدّ مكوناً بنوياً مهما من ذات الفرد والمجتمع، وانعكاساً لخصوصيته الثقافية، فتلك الرسوم التي عهدنا رؤيتها على وجوه الكبار هي لغة بصرية تعكس نسقاً ثقافياً متكاملاً ترتبط فيه الهوية الفردية بالجماعة، من خلالها يمكن تحديد شخصية صاحبها والبيئة التي أتى منها وانتمائه القبلي والعقدي والثقافي والديني أو حتى السياسي...ومن ثم تمييز القبائل عن بعضها البعض، وبالمختصر الوشم هو بطاقة هوية المجتمعات السابقة.

إضافة إلى ذلك أدرجت هذه المقاربة جملة من النتائج و الاستنتاجات تمثلت في:

- تشترك الأنثروبولوجيا والسيميائيات في الاهتمام بمختلف أشكال التعبير والتواصل وتتسعان لتشمل كل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية، وكافة المظاهر اليومية الثقافية؛ حيث تشتغل الأنثروبولوجيا على الانتاج الفكري والثقافي للإنسان، معتمدة في ذلك على السيمياء لدراسة وتحليل الرموز وأنساق العلامات التي تضمرها النتاجات الثقافية والتي تتمثل في النصوص واللغة والأصوات والصور والفنون، رسمية كانت أو شعبية.

- الوشم هو تلك الرسوم التي تُدَّق على جلد الإنسان في مختلف أطرافه، بطرق عديدة تختلف باختلاف الثقافة، وأغلبها من خلا وغز الإبر، ثم تلوينها بمواد مختلفة عادة تكون إما باللون الأسود أو الأزرق أو الأخضر ولكل منه دلالة معينة.

- عُرِف الوشم عند كل الشعوب والحضارات إلاَّ أنَّ أساليبه وأغراضه تختلف من مجتمع لآخر حسب الاعتقاد السائد؛ فالبعض اتخذه كزينة وعلاج ورمز للانتماء الديني والقبلي وضرورة لا تخلو منها الحياة اليومية،أما البعض اعتبره وصمة عار وعلامة شؤم وتمييز العبيد والمجرمين والطبقة المهمشة من المجتمع .

- للوشم أسماء عديدة ومختلفة، عموماً لاختلاف الثقافة أو لاختلاف الغرض منه أو طريقة وضعه إلاَّ أنَّها كلها تشترك في الدلالة على تلك النقوش والعلامات التي تحفر على جلد الإنسان.

- يرتبط الوشم بالعبادات الطوطمية التي عرفها الإنسان الأول وقدسها، وجل أشكاله مستوحات من عناصر الطبيعة المقدسة؛ إلاَّ أنَّها لا تأخذ الشكل العضوي للحيوان أو النبات المقدس كما هو، وإنَّما ترسم رموز ترتبط بهم بمعاني ودلالات محددة تنبع من طبيعة الحيوان أو النبات المقدس.

- إرتبط الوشم في جل الثقافات بالغرض الجمالي، لكنه لا يقتصر عليه بل يحمل أبعاد ودلالات أخرى أكثر عمقاً منها العلاجية والسحرية والوقائية... حيث كان الإنسان يعتقد بأنَّ حفر رمز الحيوان أو النبات الذي يقدسه على جلده سيحميه من الأمراض ويمنحه القوة والخصوبة والبركة.إضافة لتحديد انتمائه القبلي والعقائدي.

- لاتتوفر الكتب السماوية والديانات التوحيدية على حكم واضح لتحديد موقفها من الوشم إلاَّ أنَّ جل الاشارات تعبر عن الرفض التام لكل ما يلحقه الوشم من أضرار وأمراض للإنسان وما يشكل من خطورة، وخصوصاً ارتباطه بالسحر ما يجعل منه عمل محرم.

- ارتبط الوشم بالجسد الأنثوي أكثر شيء لأنه يعد علامة زينة وجمال بالدرجة الأولى،ولطالما أسندت مهمة التعريف بعادات ومعتقدات الجماعة للمرأة كونها تعتبر ذاكرة المجتمع الخالدة، فكان النصيب الأكبر من الوشوم للمرأة.

- لا يزال المجتمع القالمي يحتفظ ببعض رواسب الوشم التي حُفرت على جسد المرأة وبين ثنايا تجاعيدها، رغم ذهابه في الزوال نتيجة تصاعد الوعي الديني الذي يحرم هذه الممارسات،وظهور الوشم الحداثي.

- تتنوع رسوم الوشم في منطقة قالمة، وأغلب الرموز عبارة عن أشكال هندسية مستوحات من الطبيعة وزخارفها من حيوانات ونباتات، وشكل الشمس والنجوم ... لكن العنصر النباتي هو الغالب وهذا يعود إلى البيئة الخضراء التي تتميز بها منطقة قالمة.

- لا يختلف الوشم في منطقة قالمة سواء من ناحية الأشكال أو من ناحية المضمون عن الوشم الأمازيغي المعروف في مختلف أقطار الجزائر ما يعبر عن انتمائها لمصدر واحد ومايوحي بالأصول الأمازيغية لسكان المنطقة.

- تحمل وشوم المرأة القالمية دلالات وأبعاد تتمثل في البعد الجمالي والعلاجي والسحري والتطهيري والهوياتي والنفيسي والاجتماعي، ومع ذلك أصبحت سمة الجمال لسيقة أكثر شيء بالوشم اليوم، بعدما تغيرت بعض معانيه وانفصل عن الثقافة والهوية وسقطت عنه سمة القداسة.

- أغلب الوشوم المتحصل عليها في الدراسة تعتمد على السحر والشعوذة بالدرجة الأولى وتبنى على طقوس وطلاسم بهدف الحماية من العين والحسد والعلاج من الأمراض الجسدية أو أمراض السحر ذاته أو للوقاية من الجن وألاعيبه الشيطانية.

- يُعَّد الوشم طقس من طقوس العبور الخاصة بالمرأة تعتمدها للاشارة إلى انتقالها من مرحلة عمرية إلى أخرى، ولذا يختلف وشم الفتاة عن وشم البالغة، عن وشم المتزوجة عن وشم الأرملة، وينقسم الوشم إلى وشم فالي يدل على الخير والخصوبة والبركة، ووشم الشؤم وسوء الطالع.

- الوشم خطاب فني ورسالة تواصلية بين ذات الفرد ومجتمعه وبين المجتمع مغيره من المجتمعات، وبين المرأة والرجل، كما أنَّها علامة تمييز وتحديد للهويات بالنسبة للأمس القريب، أما اليوم لم يعد للوشم التقليدي ما كان له من قيمة ثقافية واجتماعية، وأصبح مجرد رسم زخرفي تخفيه ملامح الوجه المسنة، لسيصبح يوماً ما مجرد قطعة أثرية من صندوق الذاكرة الشعبية.

الملحق

الصورة رقم 01

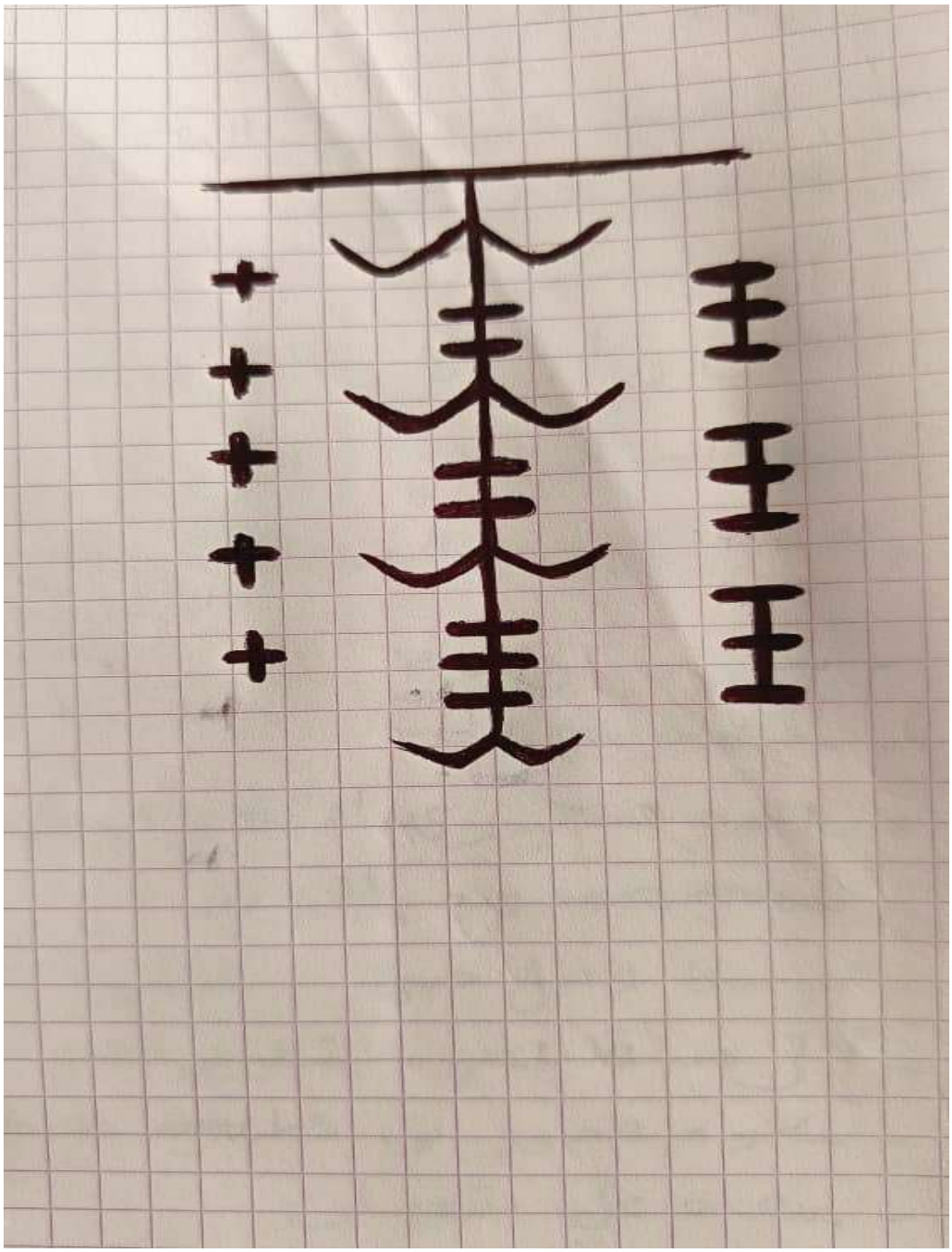

رسم توضيحي للصورة رقم 01

الصورة رقم 02

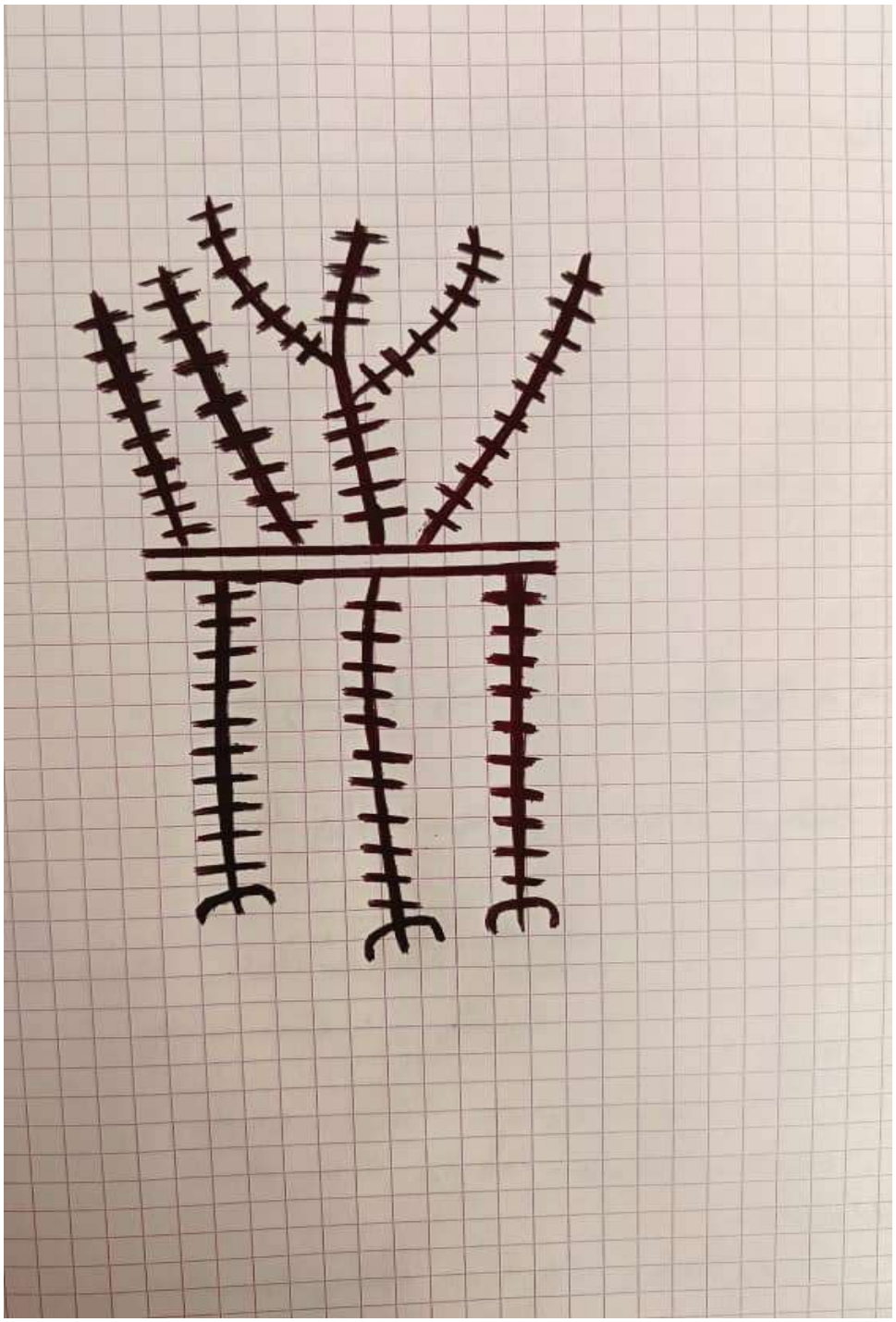

رسم توضيحي للصورة رقم 02

الصورة رقم 03

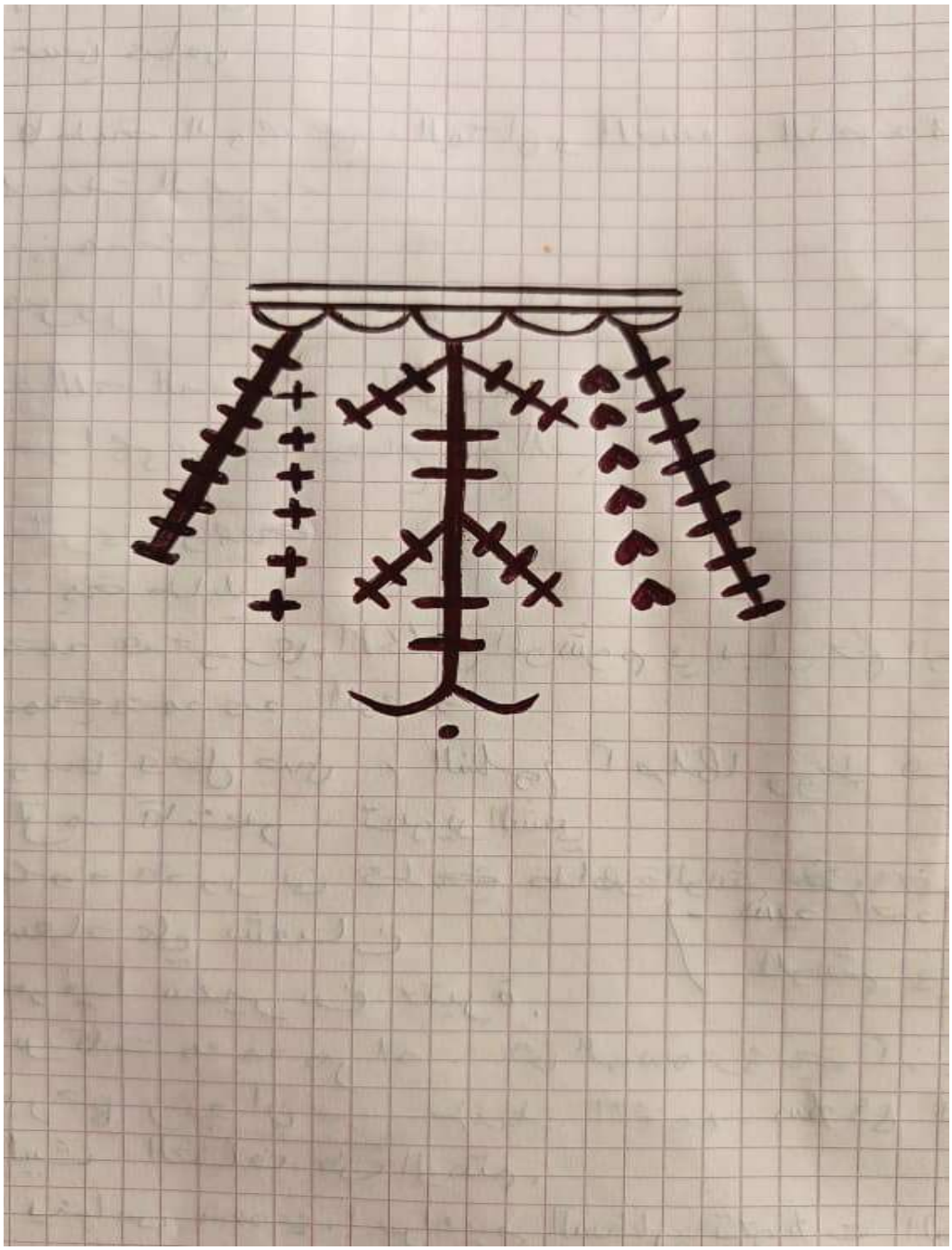

رسم توضيحي للصورة رقم 03

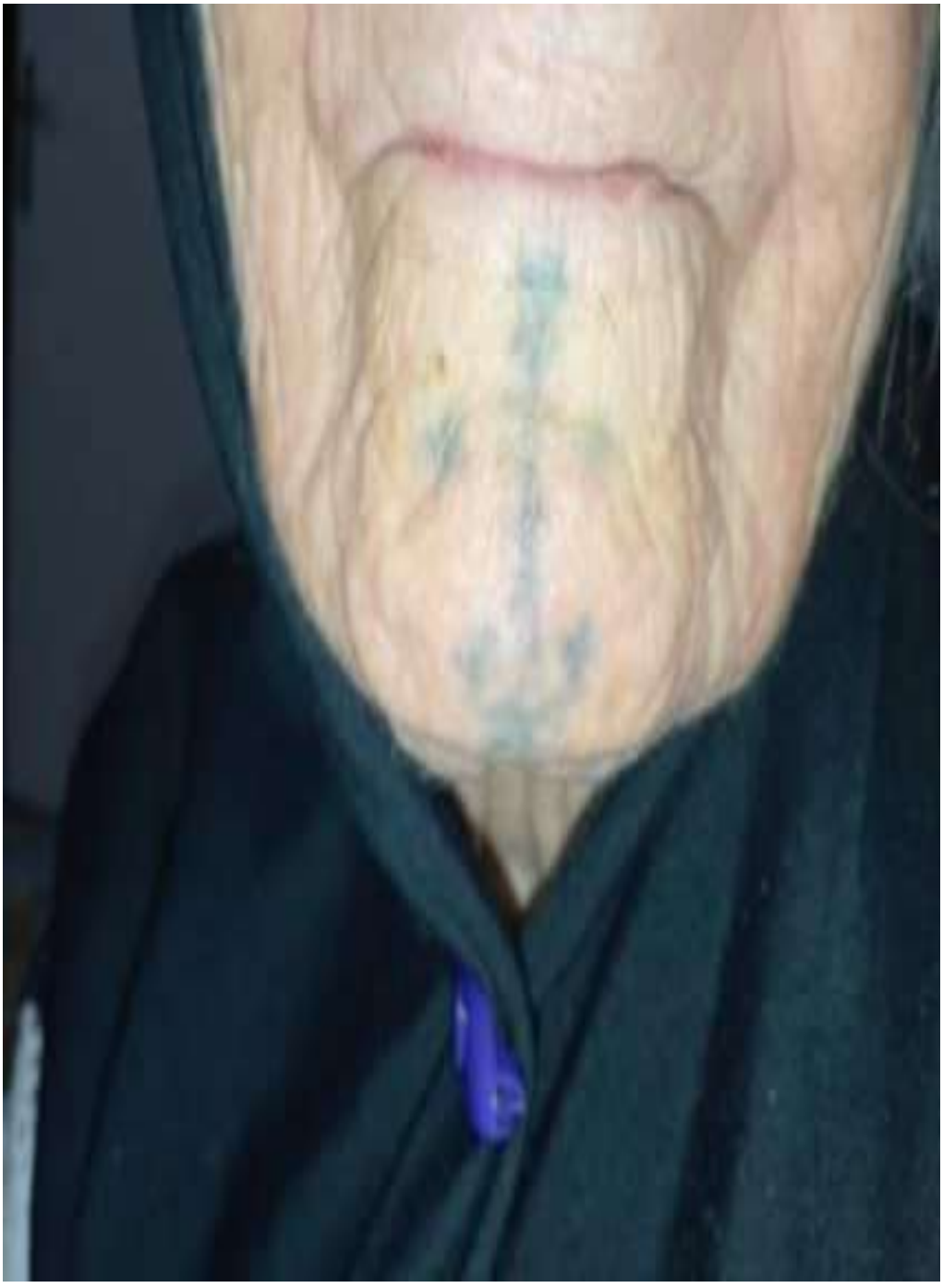

الصورة رقم 04

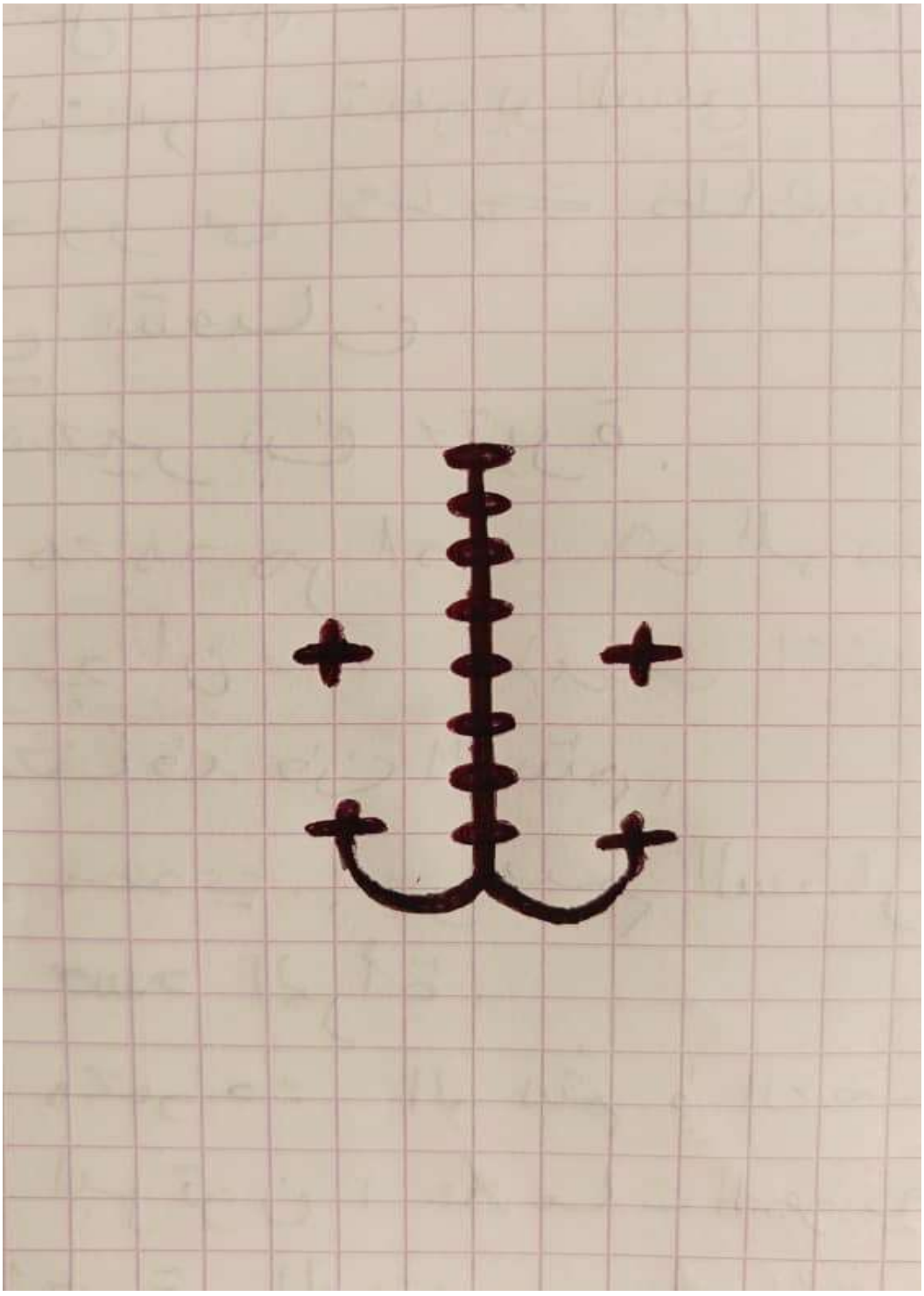

رسم توضيحي للصورة رقم 04

الصورة رقم 05 لوشم المنجل

رسم توضيحي للصورة رقم 05

الصورة رقم 06لوشم خلف الساق

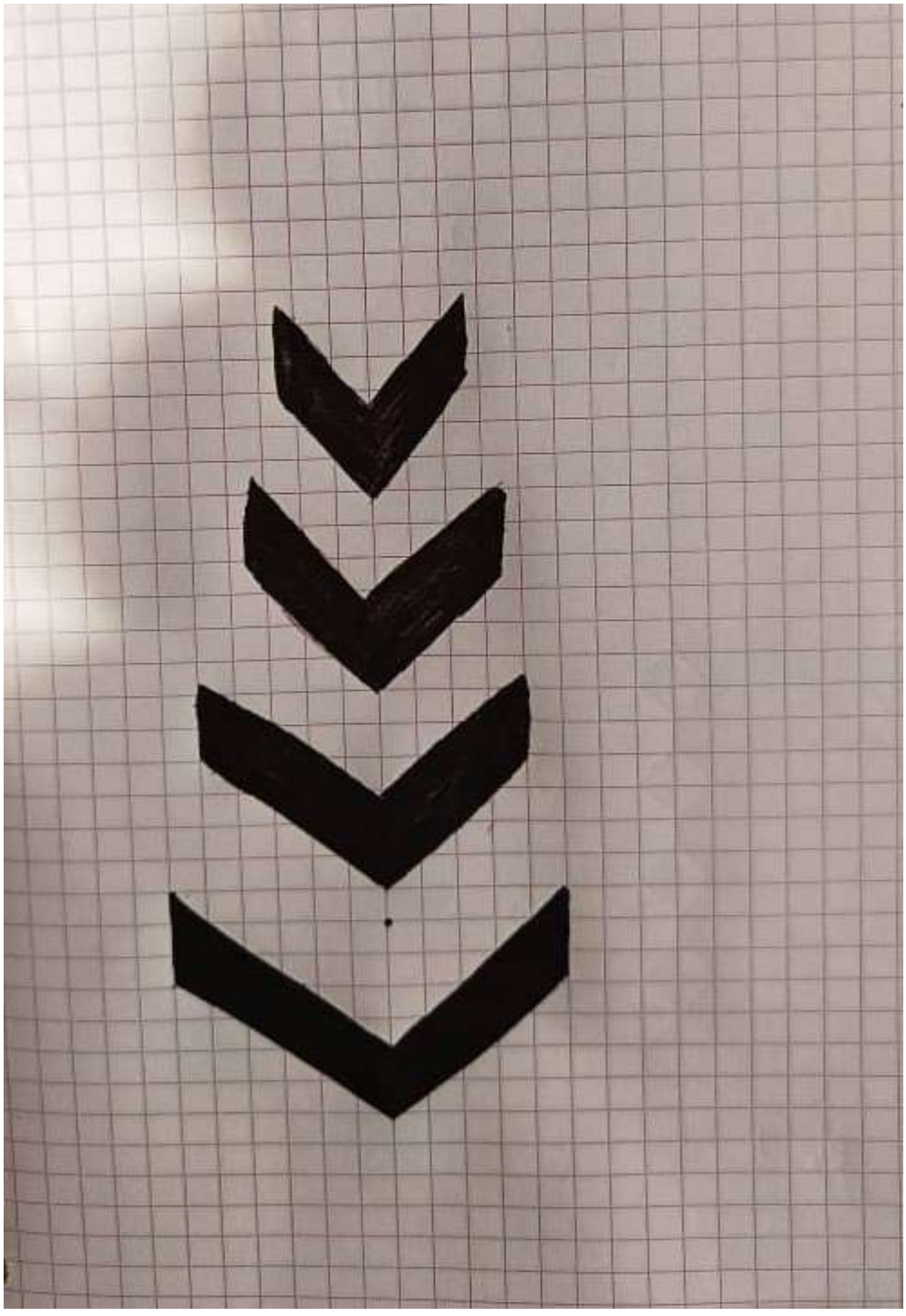

رسم توضيحي للصورة رقم 06

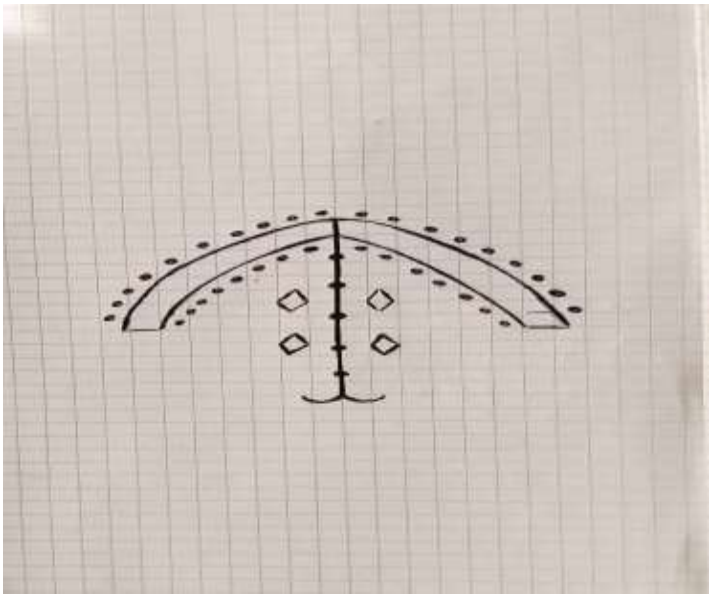

رسم توضيحي للصورة رقم 07

الصورة رقم 07 وشم النخلة

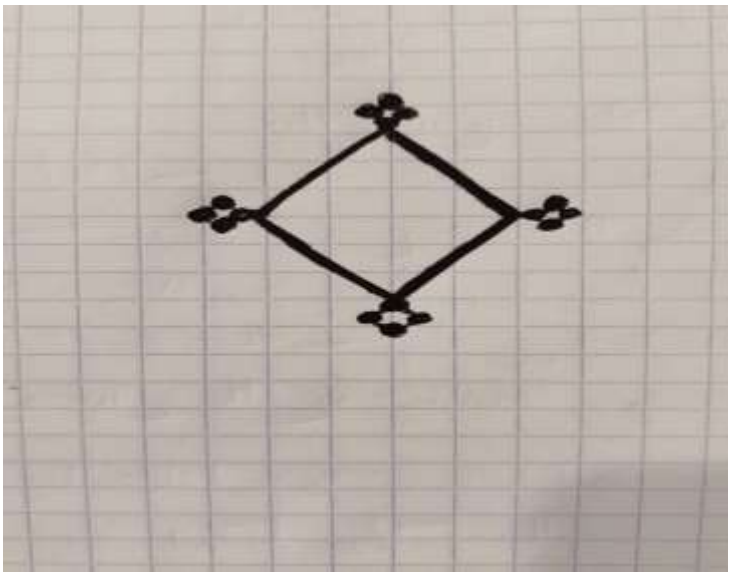

رسم توضيحي للصورة رقم 08

الصورة رقم 08

الصورة رقم 09

الصورة رقم 10

الصورة رقم 12

الصورة رقم 13

الصورة رقم 14

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادروالمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

أولا: المراجع:

-المراجع العربية:

1. أحمد أبو زيد: المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية، القاهرة،ط1، 1995.
2. أكرم قانصو : التصوير الشعبي العربي ، عالم المعرفة ، 1995.
3. بلقاسم الجطاري،الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافةالأمازيغية،سؤال الثقافةالأمازيغية : البناء و النظرية، منشورات كلية الأداب ، وجدة ، المغرب،2000م.
4. جورجي زيدان : طبقات الأمم او السلائل البشرية ، مطبعة الهلال، مصر ،1912.
5. حسن نعمة : موسوعة ميثولوجيا واساطير الشعوب القديمة و معجم اهم المعبودات القديمة ، دار الفكر اللبناني ، مج1 ، بيروت، لبنان ، 1994.
6. سعد سرحت: الأنثروبولوجيا والسيمياء_مقاربات أنثروبولوجية تأويلية في ثلاثة نصوص ثقافيةاجتماعية_، منشورات نون للطباعة و النشر و التوزسع ط1 ،2017.
7. سعيد بنكراد: السميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية اللاذقية، ط3، 2012. .
8. شوقي ضيف: النقد، دار المعارف،ط5 ،1984.
9. صوفية السحيري بن حتيرة: الجسد و المجتمع ، (دراسة انثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد)، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان.
10. عبد الله محمد الغذامي: النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2001.

11.عبد الله محمد الغذامي، وآخرون: نقد ثقافي أم نقد أدبي؟،دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع،دمشق،ط1، 2004 .

12.عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)،منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق،2004.

13.فاروق مسطفى اسماعيل: الأنثروبولوجيا الثقافية، الهيئة المصرية للكتاب، كلية الآداب جامعة الاسكندرية، 1980.

14.محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب_ منهج البحث في الأدب و اللغة_ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،1996.

15.مجدي وهبة، كامل المهندس:معجم المصطلاحات العربية، في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت،ط2، 1984.

16.محمد فنخوري العبدلي : الكلام الموشوم في بيان حكم الوشوم ، محا القريات فظة ، 1432هـ.

17.مصطفى تلوين: مدخل عام إلى علم الأنثروبولوجيا، منشورات الإختلاف، بيروت، لبنان،ط1، 2011.

18.منجي الشميلي: الفكر والأدب في ضوء التنظير والنقد، دار الغرب الاسلامية، لبنان، بيروت، 1985.

19.يوسف فضل حسن : الشلوخ أصلها ووظيفتها في السودان ووادي النيل ، دار الخرطوم، 1976.

2-المراجع المترجمة:

1. بيير جير: السيميائيات_دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية، تر: منذر العياشي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط1، 2016.
2. بونت بيار،ميشال ايزاز،وآخرون:معم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا، تر:مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان،بيروت،ط2، 2011.
3. توماس هيلاندا ريكس، فين سيفرت نيلسرن: تاريخ الأنثروبولجيا، تر:عبدع الريس، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014 .

4. جيرار دول دال: السيميائيات أو نظرية العلامات، تر: عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار ببنشر والتوزيع، ط1، 2004.
5. دايفيد لوبروتون : علامات الهوية (وشوم وثقوب وأمرات جسدية أخرى)، تر: عبد السلام بنعبد العالي ، صفحة سبعة للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2022.
6. رالف لونتون: الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، تر: عبد الملك النقاش، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
7. فابريس تومريل: النقد الأدبي، تر:الهادي الجطلاوي، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط1، 2017.
8. كليفورد غيرتز: تأويل الثقافات، تر: د.محمد بدوي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت،ط1، 2001.
9. وينغريد بلاكمان، الناس في صعيد مصر : العادات و التقاليد ، تر: احمد محمود ، عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، ط1، 1995

3-المراجع الأجنبية:

- LE BRETON David (2002), « Tatouage et piercing ; bricolage Identitaire », in Revue des sciences humaines, France, N° 32.

-المعاجم والقواميس:

1. أبي نصر اسماعيل بن حماد الجواهري: الصحاح " تاج اللغة و صحاح العربية " ، مر : محمد تامر ، مج 1 ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، 2009.
2. ابن منظور: لسان العرب، مج 6،ج55 (م.ي) ، دار المعارف ، القاهرة.
3. عبد الله البستاني : المعجم الوسيط ، تح: الإدارة العامة للمعجمات و احياء التراث ،مكتبة الشروق الدولية لجمهورية مصر العربية ، 2004.
4. الفيروز أبادي : قاموس المحيط ،مج1، دار الحديث ،القاهرة مجاد1 ، 2001.

- المجلات والدوريات:

1. أحمد محمد وآخرون: الوشم وأحكامه في الاسلام، مجلة الفقه، ع 14. 2017.
2. ايناس مهدي ابراهيم الصفار : تحولات القيم الجمالية في فن وشم جسد المراة ، مجلة دراسات العلوم الانسانية و الاجتماعية، مج 46. ع02 . مل 2. 2019.
3. بركات محمد مراد : فن الوشم .. رؤية انثروبولوجية نفسية ، مجلة الثقافة الشعبية ، ع 03. 2008 . ، البحرين.
4. حسين عباسي: الوشم لدى القبائل الافريقية الوسطى (الذات والموضوع)، مجلة الثقافة الشعبية ، ع 13 ، 2011.
5. راشي نجوى: الوشم في بلاد المغرب القديم بين الرمزية و الطقوسية، مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية، مج14.ع 1. 2024.
6. ساري وهبة و آخرون : الوشم التقليدي على الجسد الانثوي جمال وهوية (قراءة انثروبولوجية في الدلالات الرمزية) ،مجلة الخلدونية، مج 10، ع 2 ، 2017.
7. سمية محمد عبد المجيد و آخرون : فن الوشم كمدخل لآثراء التصميم النسجي، مجلة التربية النوعية ، ع 8، 2018.
8. سندس محمد عباس: أنثروبولوجيا الأدب؛ دراسة لقصة(أنا الذي رأى...وثائق) للقاص محسن الرميلي، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج19،ع1،2016.
9. سهى محمود : الوشم في الحضارة المصرية القديمة ، مجلة دراسات في اثار الوطن العربي، ع13.
10. سيد أحمد عبد الحكيم: التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية، المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبي الفللسطيني"واقع وتحديات"، جامعة النجاح الوطنية كلية الفنون الجميلة، فلسطين، الفترة من 10/6 أكتوبر 2012.
11. عداد راضية: علاقة النقد الأدبي بالأنثروبولوجيا_ قراءة في المفهوم_ومجال البحث،أعمال الملتقى الوطني الأول: النقد الأدبي و علاقته بالعلوم الإنسانية، جيجل، مارس2010،ج1.

12.فارس دعاس: الدلالة الرمزية لنماذج من العادات التقليدية الجزائرية في اللباس والحلي والزينة وخلفيتها في التاريخ القديم، المجلة التاريخية الجزائرية ، مج8، ع1، 2024.

13.فريدة ساعي: آليات التحليل السيميائي في الديوان" دم البياض للبشر بن عبد الرحمان"؛ دراسة سيميائية تحليلية، مجلة النص، جامعة العربي بن مهيدي،أم البواقي، مج10، ع2، 2024.

14.فاطمة عسول وآخرون: آليات تطبيق المنهج السيميائي لدى طلبة الجامعة_نماذج مختارة من مذكرات التخرج_ مجلة جامعة الشهيد حمة لخظر،الوادي، مج7، ع1، 2022.

15.ليث الخفاف : فن الوشم ووحدة الفولكلور العربي ،مجلة التراث الشعبي ، ع10، 1980بغداد ، العراق.

16.محمد حلوس : انطولوجيا الوشم (مقاربة انثروبولوجية في حفريات الجسد الامازيغي)،مجلة علوم اللغة العربية و آدابها، مج 14 ،ع2 ،2022.

17.مرسي رشيد: التعالق النفسي الأنثروبولوجي الفلسفي الرمزي المؤسس للنقد الأسطوري، مجلة دراسات معاصرة، جامعة تيسمسيلت، مج3، ع2، 2019.

18.ملود قدور بن عطية ، ظاهرة الوشم الانثوي (الرمز و الوظيفة ، قراءة انثروبولوجية) مجلة أنثروبولوجيا ، مج 9 ، ع1 ، 2023.

19.نسيمة طايلب:تشظي المعنى في رموز الوشم (من سيسيولوجيا الجسد إلى سيميولوجياالوشم) ،مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية و الانسانية ، مج 07 ، ع 20، 2021.

-الجرائد:

1. محمد جنوبي، الوشم بين الرموز والأشكال بالمغرب، جريدة بيان اليوم، المغرب، عدد دجنبر 1998م.

-الرسائل الجامعية:

1. ايمان احمد عارف الرسوم الشعبية و توظيفها في التصوير الجداري المعاصر ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستيرفي التصوير الجداري، ، كلية الفنون الجميلة، قسم التصوير ، جامعة حلوان، مصر، 2000.

2. فاطمة محمد مجدي ، رموز الفن الافريقي كمصدر لإثراء الجدارية الجزافية ، رسالة ماجستير ، كلية التربية النوعية ، جامعة أسيوط، مصر ، 2015.

-المو اقع الالكترونية:

1. سامي الوافي: النقد الأنثروبولوجي، محاضرات(مقاربة نقدية معاصرة) للسنة الثانية ليسانس، تخصص: دراسات أدبية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، https://tele-ens.univ-oeb.dzk.
2. شادية بن يحيى: النقد الأنثروبولوجي، محاضرة للسنة الثانية دراسات أدبية،قسم اللغة العربيةوآدابها، جامعةمحمد الشريف مساعدية،سوق أهراس.https://www.unv-soukahras.dz/ar/profil/cbenyahia04/01/2025،
3. كريمة شعبان:الأثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مطبوعة بداغوجية موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس إعلام وإتصال، كلية الإعلام والإتصال،قسم علوم الإعلام، جامعة الجزائر3، 2022.
4. صلاح عبد الستار محمد الهاوي، الجمال في تراث العرب، مجلة العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت، ع577، https://alarabi.nccal.gov.kw/Home/Article/79152008 .

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
• المدخل: النقد الأنثروبولوجي والمنهج السميائي.	2
أولا:مفهوم النقد الأنثروبولوجي	3
1. مفهوم النقد	4
2. مفهوم الأنثروبولوجيا	5
3. النقد الأنثروبولوجي:	8
أ-اللاوعي الجمعي والأنماط العليا عند كارل يونغ	10
ب-النقد الثقافي	11
ج-البنوية	12
ثانياً:المنهج السيميائي	14
1. عندالعرب	15
• الفصل الأول:الوشم(الماهية؛والنشأة والتطور)	18
1.مفهوم الوشم:	19
أ-لغة	19
ب-اصطلاحا	22
2.نشأة الوشم وتطوره:	26
1-2 الوشم في الحضارة الفرعونية	28
2-2 الوشم عند عرب الجاهلية	29
3-2 الوشم في دول أوربا	31
4-2 الوشم في إفريقيا.	33
3.الوشم والدين	36
1-3الديانة اليهودية والمسيحية	36
2-3 الدين الاسلامي	38
• الفصل الثاني: دلالات الوشم الأنثوي في منطقة قالمة.	44
أولاً: دلالات الوشم الأنثوي في منطقة قالمة	45

1- البعد الجمالي	46
2- البعد العلاجي	53
3- البعد التطهيري	59
4- البعد السحري	59
5- البعد الأنثروبولوجي	63
6- البعدالهوياتي	65
7- البعد الاجتماعي	66
8- البعد النفسي	67
خاتمة	72
ملحق	76
قائمة المصادروالمراجع	93
الفهرس	

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة الوشم الأنثوي في منطقة قالمة_بعد جمعه والبحث عنه ميدانيا من زاوية أنثروبولوجية وسيميائية، بوصفه منظومة رمزية معقدة تعبّر عن مضامين متعددة لتحديد أبعاده ودلالاته الرمزية في اطار سياقاته الثقافية والاجتماعية، حيث تتجاوز الرؤية السطحية الجمالية له. اضافة إلى تحديد أهمية الوشم في حياة الإنسان التقليدي وارتباطه بالجسد الأنثوي والثقافة والهوية، وكيف يمكن أن يكون للوشم قدرة علاجية ووقائية، وكيف يعكس شخصية الفرد وأسلوب تفكيره وحالاته النفسية الشعورية واللاشعورية، إلى جانب أغراضه ووسائله حسب ثقافة المجتمع.

Summary:

This study seeks to approach the female tattooing in the region of Guelma—after collecting and researching for it in the field—from an anthropological and semiotic perspective, viewing it as a complex symbolic system that expresses multiple meanings. The aim of this research is to identify its dimensions and symbolic connotations within its cultural and social contexts, moving beyond a superficial aesthetic view. Additionally, the study aims to determine the importance of tattooing in the life of traditional humans, its connection to the female body, culture, and identity, and how tattoos may have therapeutic and protective powers. It also explores how tattoos reflect an individual's personality, way of thinking, and both conscious and unconscious psychological states, alongside their purposes and methods as shaped by the culture of the society.